الضمير وأثره في بناء الجملة العربية وتركيبها

إعداد

محمود حمّاد محمود أبو موسى

إشراف

الأستاذ الدكتور سمير شريف ستيتية

آب ١٩٩٥

١٩/٥

بسم الله الرحمن الرحيم

ISN: 17 5510

الضمير وأثره في بناء الجملة العربية وتركيبها

إعداد

محمود حمّاد محمود أبو موسى

بكالوريوس لغة عربية وآدابها، جامعة اليرموك، ١٩٩٠

قدمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلبات درجة الماجستير في الآداب، قسم اللغة العربية وآدابها- جامعة اليرموك، تخصص لغة ونحو

لجنة المناقشة:

أ.د. سمير شريف ستيتية ..... رئيسا

أ.د. حنا جميل حداد ..... عضوا

د. سلمان محمد القضاة ..... عضوا

أب ١٩٩٥

الإهداء

إلى من كان لهم الفضل العظيم عليَّ

إلى من مهَّدوا لي الطريق كي أتعلم، إلى أسرتي

تقديرًا وعرفانًا

إلى أساتذتي جميعًا الذين كانوا شموعًا تنير لي الطريق

في مراحل دراستي جميعها

وإلى كل الذين يسرقون النار كي تنير دروب

البشرية

برمثيوس، آدم وحواء من قبل

شكر وتقدير

الحمد لله الذي مَنّ عليَّ بأن استطعت إنهاء هذا البحث، بما قيض لي من أناس شاركوني أفكاره فجَّة حتى نضجت وساغت مكتملة بهذا الشكل.

ولا يسعني من بعد: إلا أن أقدم جزيل شكري وعرفاني لأستاذي الفاضل الأستاذ الدكتور سمير شريف ستيتية، الذي لم يدخر جهدًا إلا قدمه لي، حتى في أكثر الأوقات حرجًا، فقد أعطاني من جهده ووقته الكثير الكثير، على الرغم من مشاغل السفر وبُعْد الشقة فيما بيننا.

كما أقدم جزيل شكري وعظيم عرفاني لأستاذيَّ الفاضلين الأستاذ الدكتور حنا جميل حداد والدكتور سلمان محمد القضاة اللذين كان لي شرف أن تلمذتُ لهما منذ أن عرفت الدرس النحوي في هذه الجامعة، فعرفتهما مثالاً للعالم المخلص الذي يسعى دومًا إلى تقديم أقصى ما يستطيع، ومثالاً لغض النظر عن أخطائي فما شعرت يومًا بضجر أو ملل لكثرة نقاشي لهما، رغبة في الاستزادة من فيض علمهما.

كما أتقدم بشكري إلى النخبة الطيبة من الأساتذة في قسم اللغة العربية ممن كان لهم عظيم الأثر في تكوين شخصيتي العلمية وكياني الفكري ، فإن أكن أصبت فهو فضل لهؤلاء جميعًا. وإن أكن أخطأت فهو قصور لا ألوم فيه أحدًا غيري.

قائمة بالرموز الصوتية المستخدمة

الصوت بالعربية	الرمز	الصوت بالعربية	الرمز
أ	ɔ	ق	q
ب	b	ك	k
ت	t	ل	l
ث	t̲	م	m
ج	ǧ	ن	n
ح	ḥ	هـ	h
خ	h̲ أو k̲	و	w
د	d	ي	y
ذ	d̲	الفتحة	a
ر	r	الفتحة الطويلة	ā
ز	z	الضمة	u
س	s	الضمة الطويلة	ū
سين سامخ	s¹	الكسرة	i
ش	š	الكسرة الطويلة	ī
ص	ṣ	الكسرة الممالة	e
ض	ḍ	الكسرة الممالة الطويلة	ē
ط	ṭ	الضمة الممالة	o
ظ	ẓ	الضمة الممالة الطويلة	ō
ع	ʿ	الفتحة المخطوفة	á أو ā
غ	ġ	الكسرة المخطوفة	é أو ē
ف	f	المد العارض	â

الفهرس

الموضوعات	الصفحة
الملخص	ط
المقدمة	١
تعريف الضمير	٣
الباب الأول	
الضمائر العربية أصولها وتطورها	٨
الفصل الأول	
ضمائر الرفع المنفصلة	
١- ضمائر التكلم	١٠
١- ضمير المتكلم المفرد (أنا):	١٠
تطور الضمير (أنا)	١٨
٢- ضمير جماعة المتكلم (نحن)	٢١
الآراء المختلفة في تفسير الضمير (نحن)	٢٢
٢- ضمائر الخطاب	٢٩
١- ضميرا المخاطب (أنتَ) والمخاطبة (أنتِ)	٢٩
٢- ضميرا المخاطبين (أنتم) والمخاطبات (أنتن)	٣١
٣- خطاب المثنى (أنتما)	٣٧
٣- ضمائر الغياب	٤١
١- ضميرا الغائب (هو) والغائبة (هي)	٤٢
تطور ضميري الغائب والغائبة	٤٨
٢- ضميرا الغائبين (هم) والغائبات (هنَّ)	٥٤
٣- ضمير مثنى الغائب (هما)	٥٥

الفصل الثاني

ضمائر النصب والجر

١- ضمائر النصب والجر المتصلة ٥٧

أ- ضمائر التكلم

١- ضمير المتكلم المفرد (ي، ني) ٥٧

أ- ضمير المتكلم في حالة الجر ٥٧

حالات ضمير المتكلم المجرور في العربية ٦٠

تطور ضمير المتكلم المجرور ٦٣

ضمير المتكلم المجرور في حالة النداء ٦٥

ب- ضمير المتكلم في حالة النصب ٦٧

تطور ضمير المتكلم المنصوب ٦٩

٢- ضمير جماعة المتكلم (نا) ٧٠

تطور ضمير جماعة المتكلم ٧١

ب- ضمائر الخطاب (كَ، كِ، كُم، كنَّ، كُما) ٧٢

تطور ضمائر الخطاب المتصلة في العربية ٧٣

جـ- ضمائر الغياب (ـهُ، ـها، هُمْ، هُنَّ،هُما) ٧٥

تطور ضمائر الغياب المتصلة في العربية ٧٥

٢- ضمائر النصب المنفصلة ٧٧

الباب الثاني

اللواصق الضميرية وأثرها في بناء الجملة الفعلية

الفصل الأول

اللواصق الضميرية في الفعل العربي

الإلصاق في الفعل العربي ٨١

١- اللواصق الضميرية في الفعل الماضي ٨٣

أ- لواحق التكلم ٨٣

ب- لواحق الخطاب ٨٦
جـ- لواحق الغياب ٨٧
٢- اللواصق الضميرية في الفعل المضارع ٩٣

الفصل الثاني

أثر الإلصاق الضميري في بناء الجملة العربية ٩٩
الخاتمة ١٠٨
قائمة المصادر والمراجع ١١٠
الملخص باللغة الإنجليزية ١٢٠

الضمير وأثره في بناء الجملة العربية وتركيبها

إعداد:محمود حمّاد محمود أبو موسى
إشراف: الأستاذ الدكتور سمير شريف ستيتية

الملخص

تناولت هذه الدراسة الضمائر العربية، وفق أسلوب مقارن مع اللغات السامية، وقد تركز ذلك في جانبين هما:

١- الضمائر العربية من حيث أصولها وتطورها، إذ عالج الباحث في هذا القسم الأصول السامية القديمة للضمائر العربية، محاولاً تفسير تطورها في مراحل اللغة المختلفة إلى أن استقرت على ما هي عليه في هذه اللغات. كما سعى الباحث لتفسير بعض التطورات لهذه الضمائر في اللغة العربية سواء أكان ذلك في المستوى الفصيح أم في المستوى اللهجي، من خلال ما سجله علماء الساميات من استعمالات لهذه الضمائر في مختلف الأقطار العربية.

٢- الإلصاق في الفعل العربي وأثر هذا الإلصاق في عملية الإسناد الفعلي في الجملة العربية البسيطة، إذ عالج الباحث اللواصق الضميرية التي تلحق بالأفعال، سواء أكان ذلك الإلصاق إلحاقًا كما في الفعل الماضي، أم كان تصديرًا وإلحاقًا كما في الفعل المضارع، إذ درس هذه اللواصق من حيث الأصل والاشتقاق وعلاقة ذلك بالضمائر المنفصلة، ومن حيث اكتمال عناصر الإحالة الضميرية (العدد والشخص والجنس).

كما عالج الباحث مدى اسمية كل من الضمير واللاحقة الضميرية مفرقًا بينهما من حيث الوظيفة النحوية لكل منهما. فإذا كان الضمير يتصرف تصرف الاسم من حيث الإسناد فإن اللاصقة الضميرية لها وظيفة مختلفة تمامًا، هي وظيفة الربط بين عناصر الجملة:المسند (الفعل) والمسند إليه، وهذه الوظيفة النحوية شبيهة بوظيفة الضمير الرابط بين المبتدأ والخبر عند النحاة، كما قسمت الدراسة اللواصق الضميرية إلى نوعين: لواصق ضميرية مكتملة

الإحالة الضميرية وتظهر هذه اللواصق عندما يكون المسند إليه غير مذكور أو تقدم أو دل السياق عليه، كذلك تظهر في حالة ما عرف عند النحاة بلغة (أكلوني البراغيث). ولواصق ضميرية مفرغة دلاليًا من هذه الإحالة الضميرية، ويظهر ذلك إذا كان الفاعل اسمًا ظاهرًا ولي الفعل.

المقدمة

لا يستطيع باحث أن يحدد متى ظهرت الضمائر في اللغات البشرية، غير أن ما لدينا من دراسات يؤكد أنها ترجع إلى بدايات استخدام اللغة، وبسبب ذلك كان لها تأثير كبير في بناء الجملة.

ومع أن الضمائر تمتاز بثباتها النسبي في مقابل التغيرات التي تصيب ألفاظ اللغة، إلا أنها كانت تتغير وفقًا لما يقتضيه نظام اللغة المعينة، وما يناسب متكلميها.

وتعد اللغات السامية من أقدم المجموعات اللغوية التي تم تسجيل نصوصها، إن لم نقل أقدمها على الإطلاق. غير أن كثيرًا من نصوص هذه اللغات بقي بعيدًا عن الدرس اللغوي، باستثناء اللغات التي ارتبطت بنصوص دينية. ويلاحظ الدارس للغات السامية التشابه الكبير في استعمال ضمائر الشخص -موضوع الدراسة- مما يعني أنها جميعًا تستقي من معين واحد أطلق عليه علماء اللغات السامية اللغة السامية الأم، التي يرى الباحثون أن العربية قد حافظت على جل خصائصها.

ومع أن ظهور علم الساميات قد مضى عليه زمن ليس بالقليل، إلا أنه ما زال في بداياته عند العرب الذين كانت دراساتهم اللغوية علامة بارزة في طريق الدراسات اللغوية، غير أن ما يؤخذ على منهج العرب في دراسة اللغة تمحورهم حول العربية في الأعم الأغلب، باستثناء اهتمامات بعض اللغويين العرب مثل أبي حيان النحوي الذي وضع كتابًا عن اللغة الحبشية[1]، مما جعل دراساتهم يصيبها الوهن في بعض جوانب التحليل اللغوي. ومع ذلك لا تسعى هذه الدراسة إلى التقليل من أهمية الدراسات العربية، إذ إن ظهور علم الساميات كان مرتهنًا بالتقدم في علوم أخرى.

وقد لفت نظر الباحث قلة الدراسات التي تبحث في الضمائر العربية، إذ اكتفى اللغويون العرب بوضع فصل يتحدثون فيه عن الضمائر في ثنايا كتبهم -باستثناء ظهور

---

(١) ذكر أبو حيان عنوان هذا الكتاب في البحر المحيط قائلاً "وقد تكلمت على كيفية نسبة الحبش. في كتابنا المُترجم عن هذه اللغة، المسمى: بجلاء الغبش عن لسان الحبش"، البحر المحيط ج٤، ١٦٢-١٦٣ (عن رمضان عبد التواب، فصول في فقه العربية ص ٤٥).

بعض الرسائل كرسالة ابن كمال باشا في رفع ما يتعلق بالضمائر من أوهام،وكرسالة السراج البلقيني:نشر العبير لطي الضمير- وهي رسالة لم تصل إلينا- وبقي الحال كذلك أيضا في كتابات المحدثين، وربما كان كتاب محمد عبد الله جبر:الضمائر في اللغة العربية أول دراسة تتناول الضمائر في بحث مستقل عن قضايا النحو الأخرى، وكان بعض الباحثين قد درس الضمائر في بحوث ومقالات قصيرة مثل: خليل يحيى نامي، ومحمد سالم الجرح، ورمزي بعلبكي، وفوزي الشايب، وغيرهم.

لذلك رأى الباحث أن يتناول الضمائر العربية في دراسة سامية مقارنة من حيث أصولها وتطورها ومدى تأثير الإلصاق الضميري في بناء الجملة العربية. وقد توزعت هذه الدراسة في بابين:تناول الباب الأول الضمائر العربية من حيث أصولها وتطورها، وجاء ذلك في فصلين. تناول الباحث في الفصل الأول ضمائر الرفع المنفصلة من حيث أصول هذه الضمائر وتركيبها المورفيمي الدلالي، متتبعًا وجهات النظر بشقيها: وجهة النظر العربية، ووجهة نظر علماء الساميات في ذلك. وتناول الفصل الثاني من هذا الباب ضمائر النصب والجر أيضًا من حيث أصولها وتطورها.

أما الباب الثاني فقد تناول الإلصاق في الفعل العربي وأثر ذلك في بناء الجملة العربية. وجاء هذا الباب في فصلين تناول الفصل الأول الإلصاق الضميري في كل من الفعل الماضي والفعل المضارع. أما فعل الأمر فقد أهملت الدراسة دراسة الإلصاق فيه باعتباره تطورا للفعل المضارع. وتناول الفصل الثاني من هذا الباب أثر هذا الإلصاق في الجملة الفعلية، مما ترتب عليه إعادة تحليل الجملة الفعلية وفق أسلوب حديث.

متمنيًا أن تسد هذه الدراسة ثغرة في مجال الدراسات العربية المقارنة التي تعاني النقص لدى قراء العربية.

تعريف الضمير

الضمير لغة:

"السّر وداخل الخاطر والجمع الضمائر.... والضمير الذي تضمره في قلبك وأضمرت الشيء أخفيته"(١) والضمير "المستور، فعيل بمعنى مفعول أطلق على العقل لكونه مستورًا عن الحواس"(٢).

الضمير بين المفهوم والاصطلاح:

أدرك نحاة العربية مفهوم الضمير منذ بدايات الدرس النحوي، باعتباره مفهوما نحويا، إذ يوجد شرح وافٍ له في كتاب سيبويه(٣)، ويظهر جليًا أن هذا المفهوم قد عُرف قبل الكتاب، يقول سيبويه على لسان الخليل بن أحمد(*) في دخول نون الوقاية على بعض الحروف والظروف: ".... **كرهوا أن يجيئوا بحرف غير النون فيخرجوا من علامات الإضمار**"(٤).ومن خلال استعمال الكتاب لمصطلح الإضمار، كان مؤسسًا للاصطلاح الشائع فيما بعد لهذا المفهوم (الضمير)، إذ درجت الدراسات النحوية بعده على استعماله. وفي مقابل ذلك حاولت المدرسة الكوفية أن تضع اصطلاحًا جديدًا إلى جانب اصطلاح الضمير كان الكناية والمكني(٥)، و"**لا فرق بين الضمير والمكني عند الكوفيين فهما من قبيل الأسماء المترادفة، فمعناهما واحد وإن اختلفا من جهة اللفظ، وأما البصريون فيقولون المضمرات نوع من المكنيات فكل مضمر مكني وليس كل مكني مضمرًا**"(٦)، وبالرغم من أن سيبويه لم

---

(١) ابن منظور، لسان العرب، (ضمر) ج ٤،ص٤٩٢.

(٢) ابو البقاء الكفوي، الكليات، ص٥٧١.

(٣) سيبويه، الكتاب، ج٢، ص٦، ص٣٥٠وما بعدها.

(*) وقد أهملت الدراسة الآراء الواردة في كتاب الجمل للخليل بن أحمد؛ لتنازع النسبة فيه غير أنه كان يستعمل مصطلح الحروف للدلالة على الضمائر (الجمل في النحو، ص ١٦٧)، و مصطلح الإضمار بمعنى الحذف (الجمل في النحو، ص ١١١). ونص صراحة على مصطلح الضمير في الصفحات:٢٠٨،٢٠٩،٢٢٥،٢٣٦.

(٤) سيبويه، الكتاب، ج٢، ص ٣٧٠-٣٧١.

(٥) خالد الأزهري، شرح التصريح على التوضيح، ج١ص٩٥.

(٦) ابن يعيش، شرح المفصل ج٣، ص٨٤.

يذكر اصطلاح (الضمير) إلاّ أننا نجد أربعة اصطلاحات تظهر في كتابه لها مساس بمفهوم الضمير هي:

أ- الإضمار: وهو عنده "**قريب من معنى الحذف، أي حذف المعلوم**"(١).وقد استعمل سيبويه" **الإضمار بمعنى الحذف والاستتار في الأفعال، والجمل، والمبتدأ والخبر، واسم كان وفاعلها تامة، واسم لا النافية للجنس، وضمير الشأن بعد أن**"(٢).

ب- المضمر: يبدو من الصيغة التي بني عليها هذا الاصطلاح أنه دال على الاسم الواقع عليه الإضمار، ويستعمله سيبويه أحيانًا بمعنى المكان النحوي للضمير إذ يقول: "**اعلم أن المضمر المرفوع إذا حدَّث عن نفسه فإن علامته (أنا)...**"(٣) متفقا مع المعنى اللغوي للفظ الدال على "**الموضع والمفعول**"(٤)، وقد استعمل النحاة هذا المصطلح مرادفًا للضمير فيما بعد.

جـ- علامة المضمر أو علامة الإضمار: وهذان الاصطلاحان مترادفان عنده، يقصد بهما ما عُرف عند النحاة بالضمائر، يقول سيبويه: "**اعلم أن المضمر المرفوع، إذا حدث عن نفسه فإنّ علامته أنا ، وإذا حدّث عن نفسه وعن آخر قال: نحنْ ... وأما المضمر المخاطب فعلامته إذا كان واحدًا: أنت... وأما المضمر المُحَدَّث عنه فعلامته: هو...**"(٥)، ويقول أيضًا: "**اعلم أنّ علامة إضمار المنصوب المتكلم (ني) وعلامة إضمار المجرور المتكلّم الياء.**"(٦)

ويفرّق سيبويه بين نوعين من علامات الإضمار هما:

علامات الإضمار الظاهرة في مقابل علامات الإضمار غير الظاهرة. فعلامات الإضمار الظاهرة يقْصدْ بها الضمائر المنفصلة والمتصلة، مرفوعة ومنصوبة ومجرورة، وعلامات الإضمار غير الظاهرة أو الإضمار الذي ليست له علامة ظاهرة أو المضمر الذي لا علامة له، يقصد بها الضمائر المستترة. يقول في ذلك: "**وأما الإضمار فنحوَ: هُوَ، وإياهُ،**

---

(١) محمد عبدالله جبر، الضمائر في اللغة العربية، ص١٢.

(٢) السابق، ص١٢-١٣.

(٣) سيبويه، الكتاب، ج٢، ص ٣٥٠.

(٤) ابن منظور، لسان العرب، (ضمر)، ج٤، ص٤٩٢.

(٥) سيبويه، الكتاب، ج٢، ص٣٥٠-٣٥١.

(٦) السابق، ج٢، ص ٣٦٨.

وأنتَ، وأنا، ونحنُ، وأنتم، وأنتُنّ، وهُنّ، وهُمْ، وهي، والتاء التي في فعلتْ، وفعلتَ، وفعلتِ، وما زيد على التاء في نحو قولك: فعلتُما وفعلتُمْ وفعلتُنّ، والواو التي في فعلوا، والنون والألف اللتان في فعلنا في الاثنين والجمع، والنون في فعلنَ، والإضمار الذي ليست له علامة ظاهرة نحو: قد فَعَلَ ذلك. والألف[1] التي في فعلا، والكاف والهاء في رأيتُكَ ورأيتُهُ، وما زيدَ عليهما نحو: رأيتُكما ورأيتكُمْ، ورأيتُهُما، ورأيتُهُمْ، ورأيتُكُنّ ورأيتُهُنّ، والياء في رأيتُني، والألف والنون اللتان في رأيتنا وغلامنا، والكاف والهاء اللتان في بكَ وبهِ وبهَا، وما زيد عليهنّ نحو قولك بكُما وبكُمْ وبكُنّ وبهما وبهمْ وبهنّ والياء في غلامي وبي"[2].

غير أن سيبويه لم يكن مطردًا في استعمال هذه الاصطلاحات وفق معانيها المحددة؛ إذ استعمل الإضمار بمعنى علامات الإضمار في النص السابق، كما استعمل المضمر بمعنى علامات الإضمار أيضًا.[3]

أما اصطلاح (الضمير) فربما كان أقدم استعمال له-فيما وصل إلينا- عند المبرد (ت٢٨٦) في المقتضب[4]، غير أنه لم يحاول أن يقدم له تعريفًا، ومن ثم تتالت التصانيف النحوية على استعمال المصطلح دون تعريف، إلى أن عرّفه الرماني (ت ٣٨٨): بأنه "**المدلول عليه على جهة الراجع إلى ذكره**"[5] وواضح عدم شمولية هذا التعريف لكل من المتكلم والمخاطب، وعرّفه ابن الحاجب (ت ٦٤٦) في شرح المفصل فقال: "**يُحَدُّ المضمر بأنه ما كان لمتكلم أو مخاطب أو غائب بقرينة**"[6] وعرفه أيضًا في الكافية بأنه "**ما وضع لمتكلم أو مخاطب أو غائب تقدم ذكره لفظًا أو معنى أو حكمًا**"[7]، وقريب من هذا التعريف ما تبناه صاحب الألفية وشارحوها فيما بعد، فعرّف ابن مالك الضمير في الألفية قائلا:

---

(١) الألف هنا معطوفة على الضمير (هو) في بداية حديثه،وإلا كان الكلام مضطربًا.

(٢) سيبويه، الكتاب، ج٢، ص٦.

(٣) السابق، ج٢، ص٣٦٣.

(٤)أبو العباس المبرد، المقتضب، ج٤، ص٢٨٠.

(٥)علي بن عيسى الرماني، الحدود، ص ٣٩ (منشور ضمن (رسائل في النحو واللغة) تحقيق مصطفى جواد وزميله) وتعريف الضمير ساقط من طبعة إبراهيم السامرائي ضمن (رسالتان في اللغة).

(٦) ابن الحاجب، الإيضاح في شرح المفصل، ج١، ص٤٥٩.

(٧) الرضي الأستراباذي، شرح الكافية، ج٢، ص٣.

فما لذيْ غيْبةٍ اوْ حُضُور كأنْتَ وهُوَ سمّ بالضّمير

وعرفه أيضًا في تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد: "**هو الموضوع لتعيين مسماه مشعرًا بتكلمه أو خطابه أو غيبته**"(١)، وحاول الأشموني أن يجمع بين تعريف ابن الحاجب وتعريف ابن مالك في شرحه فقال: "**ما وُضِعَ لذي غيبة تقدم ذكره لفظًا أو معنى أو حكما... أو لذي حضور متكلمٍ أو مخاطبٍ كأنتَ وأنا وَهُوَ**"(٢) ويرى السراجُ البلقيني في رسالته المسماة نشر العبير لطي الضمير أن "**المفسر لضمير الغائب إما مصرح به أو مستغنى بحضور مدلوله حسًا أو علمًا، فالحس نحو قوله تعالى: ﴿هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي﴾**(٣)، و**﴿يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ﴾**(٤)" (٥).

غير أن الملاحظ على التعريفات السابقة أنها لم تستطع أن تضع تعريفا حديًا للضمير فعرفته بالوصف، وقد شعر ابن الحاجب بهذا الضعف فقال: "**فإن اعتُرِضَ عليه بأن في الحدّ (أو) فالجواب أن الغرض التعريف، فإذا حصل بأي طريق كان فهو المقصود، وقد يقال إذا قصد الحدّ في اصطلاح الحدود في أن الحد لا بدّ له من فصل يجمع جملة أنواعه، ويوجد فيها دون غيرها قيل المضمر: ما وضع لمدلوله بقرينة غير الإشارة، إلاّ أنه يبقى فيه إبهام لجملته**"(٦).

أما الدراسات الحديثة فلم تُشْغَل بوضع حد للضمير، فتمام حسان يرى أن الضمائر تشمل أسماء الإشارة والأسماء الموصولة، ويرى أيضًا أن الضمائر تشكل قسمًا مستقلاً من أقسام الكلام،(٧) غير أنه لم يقدم تعريفًا جديدًا للضمير بل يرتضي تعريف ابن مالك. ويرى مهدي المخزومي أن الضمائر جزء من الكنايات(٨) التي تضم عنده الضمائر، والإشارة، والموصول بجملته، والمستفهم به، وكلمات الشرط، وعرّف الضمائر بأنها " **كنايات أو إشارات يشار بها**

---

(١) ابن مالك، تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، ص٢٢.

(٢) الأشموني، منهج السالك إلى ألفية ابن مالك (شرح الأشموني)ج١، ص٦٩.

(٣) سورة يوسف،الاية ٢٦.

(٤) سورة القصص،الاية ٢٦.

(٥) يس الحمصي، حاشيته على التصريح على التوضيح، ج١، ص٩٦.

(٦) ابن الحاجب، الإيضاح في شرح المفصل، ج١، ص٤٥٩.

(٧) تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص١١٢.

(٨) مهدي المخزومي، في النحو العربي قواعد وتطبيق ص٤٦ وما بعدها.

إلى المتكلمين، والمخاطبين، والغائبين"[1]وتابعه في هذا التعريف محمد عبدالله جبر[2]، ومما يؤخذ على هذا التعريف عدم فصله بين اسم الإشارة والضمير.

وقد توسع برجشتراسر في مفهوم الضمير ليشمل زوائد الفعل المضارع[3] وتابعه في ذلك بعض المحدثين. يقول محمد عبدالله جبر: "**ولتجنب الاختلاط في التعريف لا نلتزم باعتبار الضمائر أسماء، بل يكفي أن تكون علامات دالة على الأشخاص... فإنّ اعتبارها علامات لا يستدعي لها إعرابًا كإعراب الأسماء العادية**"[4]، إلا أن هذا الخلط بين الضمائر ولواصق الأفعال دون ضابط، يؤدي إلى الاضطراب في تحليل الجملة العربية، وهو ما لم يحاول أن يقدم له حلاً؛ لذلك تقوم هذه الدراسة على التفريق بين مفهومين هما: الضمير واللاصقة الضميرية- وسوف يكون له نقاش واسع في الفصل الأخير من هذه الدراسة- فالضمير وفق هذا الفهم: هو ما كانت له قيمة إحلالية تجيز للاسم الظاهر أن يحل محله ويسدّ مسده من حيث المبنى والمعنى والإعراب. أما اللاصقة الضميرية: فهي مجموعة من اللواصق - سوابق أو لواحق- تتصل بالأفعال دون أن يكون لها ما كان للضمير من قيمة إحلالية، غير أنها ضرورية لبناء الجملة العربية فهي بذلك ركن ثالث لركني الإسناد في الجملة الفعلية.

وإذا ما أريد وضع تعريف جديد للضمير واللاصقة الضميرية قيل:

الضمير: هو ما وضع لمدلوله بقرينة غير الإشارة، مشعرًا بعدده، وشخصه، وجنسه، وكان متمتعًا بالقيمة الإحلالية للاسم الظاهر.

واللاصقة الضميرية: هي ما وضع لمدلوله بقرينة غير الإشارة مشعرًا، بعدده، وشخصه، وجنسه، ولم يكن متمتعًا بالقيمة الإحلالية للاسم الظاهر.

---

(١) السابق، ص ٤٧.

(٢) محمد عبدالله جبر، الضمائر في اللغة العربية، ص١٥.

(٣) برجشتراسر، التطور النحوي، ص٧٥.

(٤) محمد عبدالله جبر، الضمائر في اللغة العربية، ص١٥.

الباب الأول

الضمائر العربية أصولها وتطورها

الفصل الأول

ضمائر الرفع المنفصلة

ضمائر التكلم

١- ضمير المتكلم المفرد (أنا، ʾanā):

ذهب جمهور البصريين إلى أنه مركب من "أن"، والألف في آخره. "**فالألف والنون هو الاسم عند البصريين، والألف الأخيرة أُتِيَ بها في الوقف لبيان الحركة**"(١). وكانت حجتهم في ذلك كما يذكرها ابن جني: "**أما الألف في (أنا) في الوقف فزائدة ليست بأصل ... قضينا بزيادتها من حيث كان الوصل يزيلها ويذهبها، كما يَذْهبُ الهاءَ التي تلحق لبيان الحركة في الوقف**"(٢)، يقصد قول بعضهم: "**أَنَهْ**"(٣) .

في حين ذهب الكوفيون إلى أن الألف أصل في الضمير(٤)، وقد كانت حجتهم وروده بالألف وصلاً عند بعض العرب، "**وبنو تميم يثبتون الألف في الوصل في السعة**"(٥). ومن الشواهد التي سيقت في هذا المقام:

قراءة نافع(٦): ﴿**أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ**﴾(٧).

وقراءته أيضًا: ﴿**أَنَا آتِيكَ بِهِ**﴾(٨).

وقول حُميْد بن حريث بن بحدل:

أنا سيْفُ العَشيرة فاعْرِفُوني حُمَيدًا قد تذرَّيْتُ السَّناما(٩)

---

(١) ابن يعيش، شرح المفصل، ج٣، ص ٩٣، انظر شرح الأشموني مع الصبان، ج١، ص ١١٤.

(٢) البغدادي، خزانة الأدب، ج٥، ص ٢٤٢ . وانظر المعنى ذاته في اللسان (أنن)، ج١٣، ص ٣٨.

(٣) أي الوقوف عليه بهاء السكت، ومنه قول حاتم (هذا فزدي أنه) شرح المفصل،ج٣، ص٩٤، وشرح الكافية، ج٢، ص٩.

(٤) ابن يعيش، شرح المفصل، ج٣، ص ٩٣؛ الأستراباذي، شرح الكافية، ج٢، ص ١٠.

(٥) الأستراباذي، شرح الكافية، ج٢، ص ٩؛ وانظر الخزانة، ج٥، ص ٢٤٢.

(٦) قيد بعضهم ذلك في حال إتيان الضمير قبل همزة مفتوحة أو مضمومة دون المكسورة، غير أن أبا علي الفارسي، رد على ذلك قائلاً: "**لا أعرف فرقًا بين الهمزة وغيرها، فالأولى أن لا يُثْبتَ الألف وصلاً في موضع**"؛ الأستراباذي، شرح الكافية، ج٢، ص ٩-١٠.

(٧) سورة البقرة، الآية ٢٥٨؛ شرح المفصل، ج٣، ص ٩٣، ج٩، ص ٨٣.

(٨)سورة النحل، الآية ٣٩ ؛ شرح المفصل، ج٩، ص ٨٣.

(٩) ابن جني، المنصف، ج١، ص١٠؛ ابن يعيش، شرح المفصل، ج٣، ص ٩٣ وج٩، ص ٨٤؛ الأستراباذي، شرح الكافية، ج٢، ص٩؛ البغدادي، خزانة الأدب،ج٥، ص ٢٤٢؛ شرح الشافية،ج٢، ص٢٩٥؛ ابن عصفور، المقرب، ج١، ص٢٤٦.

وقول أبي النجم العجلي:

أنا أبو النَّجم وشعري شعري[1]

وقول الأعشى ميمون بن قيس:

فكَيْف أنا وانتحا لي القوَا في بَعْدَ المشيب كفى ذاكَ عارا[2]

"فقد كثُر ذلك عنهم [العرب] حتى قال الكوفيون: إنها [الألف] من الكلمة وليست زائدة.[3]"

كذلك يستندون إلى رواية في (أنا) ذكرها قطرب[4] وحكاها "الفراء: "آنَ فعلتُ" بقلب الألف إلى موضع العين، فإن صحَّت الرواية كان فيها تقوية لمذهبهم؛ فهو عند الكوفيين مبني على السكون وهي الألف، وعند البصريين مبني على الفتح"[5]، أي بحدوث القلب المكاني.

أما إذا انتقلنا إلى المناهج الحديثة التي تناولت هذا الضمير ودرسته في ضوء اللغات السامية، فإننا نجدهم يربطون بين الضمير (أنا) في صورته العربية، والصور المقابلة له في اللغات السامية.

وإذا ما استعرضنا الجدول التالي الذي يبين المقابلات للضمير (أنا) في اللغات السامية[6]:

---

(١)ابن يعيش، شرح المفصل، ج٩، ص ٨٣ و ج١، ص ٩٨؛ ابن جني، الخصائص، ج٣، ص ٣٣٧؛ البغدادي، الخزانة، ج١، ص ٤٣٩.

(٢) ابن يعيش، شرح المفصل، ج٤، ص ٤٥ وج٩، ص ٨٤؛ اللسان ج١١، ص ٦٥١ (نحل). الجرجاني، المقتصد في شرح الإيضاح، ج١، ص ٥٧٢؛ والديوان ق٥/ ٦٨، ص ٨٩، ورواية الديوان: فما أنا أمْ انتحالي القوافي .... البيت. وهي رواية المبرد، الكامل، ص ٢٥٠.

(٣) ابن يعيش، شرح المفصل، ج٩، ص ٨٤، وقد نسَبَ لسيبويه قوله: "**إن من العرب من يثبت هذه الألف في الوصل فيقول: "أنا فعلتْ**" "، ج٩، ص ٨٣ غير أني لم أقف على ذلك في الكتاب.

(٤) انظر اللسان، ج١٣، ص ٣٨ (أنن).

(٥) ابن يعيش، شرح المفصل، ج٣، ص ٩٤.

(٦) انظر حول توزيع اللغات السامية، رمضان عبد التواب، فصول في فقه العربية، ص ٣٦. وانظر حول هذه الضمائر: ولفنسون، تاريخ اللغات السامية، ص٩؛ بروكلمان، فقه اللغات السامية، ص ٨٥؛ محمد عبد الله جبر، الضمائر في اللغة العربية، ص ١٩؛ رمزي بعلبكي، المقايسة في صيغ الضمائر، ص ٢٤-٢٥ .

الأكادية (بابلي- آشوري)	السامية الشمالية الغربية		السامية الجنوبية الغربية	
	أرامي(١)	كنعاني	حبشي	عربي
ʾanāku	١- آرامية الدولة (العهد القديم): ʾanā ٢- السريانية: ʾenā ܐܢܐ	١- عبري: אֲנִי ʾanī אָנֹכִי ʾanōkī ٢- المؤابية(٢): אנך ʾnk ٣- الفينيقية(٣): אנך ʾnk ٤- أوجاريت(٤): ʾnk و ʾn	ʾana	١- شمالية: أن ana، أنا anā ٢- جنوبية (سبئي معيني) ana ٣- الحضرمية مذكر anā، مؤنث anī

أمكن استخلاص الملاحظات التالية:

١- استعملت الأكادية الصيغة (ʾanāku) فقط في حين استعملت السامية الغربية الجنوبية (عربي - حبشي) الصيغة (ʾanā) والصيغة (ʾana) مع ورود صيغة (ʾanī) للمؤنث في الحضرمية. واستعملت الآرامية الصيغة (ʾenā) أما الكنعانية (والعبرية منها) فقد استعملت الصيغتين (ʾanī) و (ʾanōkī).

---

(١) ذكر أوليري، أن الآرامية والسريانية أيضًا تستعملان الصيغتين (ʾena) بالإضافة إلى الصيغة (anaku).
O'leary: Comparative Grammar of the Semitic Languages P.141
مما يعني أن المجموعة (السامية الغربية الشمالية) قد حافظت بفرعيها (آرامي - كنعاني) على وجود الصيغتين فيها.

(٢) لا تساعد الكتابة الفينيقية والمؤابية على قراءة الصوائت. رمزي بعلبكي، المقايسة في صيغ الضمائر، ص ٢٤-٢٦.

(٣) لا تساعد الكتابة الفينيقية والمؤابية على قراءة الصوائت. السابق، ص٢٤-٢٦.

(٤) "طريقة كتابة الأوجاريتية لا تظهر الصوائت إلا بعد الهمزة، ولذلك نعلم يقينًا حركة الهمزة في كل من ʾn و ʾnk، وهي الفتحة في الكلمتين"، السابق، ص ٢٤، حاشية ٢٥.

٢- اتفاق اللغات السامية في ورود المقطع (ʾanā) -عدا العبرية- مع ميل السريانية إلى إمالة الصائت الأول (a) ← (e)، وربما كان ذلك من أجل المخالفة مع الصائت الأخير (a).

٣- تميل المجموعة العربية الحبشية إلى تقصير الصائت الثاني (ā) ← (a) في حين يميل باقي اللغات إلى إطالته (ā) أو (ō و ī) في العبرية.

٤- يظهر المقطع (ku) في الأكادية والمقطع (kī) في الكنعانية في حين تخلو اللغات الأخرى من هذا المقطع.

٥- لا تميز اللغات السامية كلها بين المذكر والمؤنث في ضمير المتكلم إلا في الحضرمية، ويمكن تفسير ذلك بأنه "**تشأ بالمقايسة متأثرًا بضمير المخاطبة المنفصل**"(١).

إن اتفاق اللغات السامية في الصائت (a) قبل النون -عدا السريانية التي عملت على إمالته (e)- يشير إلى أنه أصيل في اللغة السامية الأم، وكذلك "**يُشْعِرُ اتفاق العربية والآرامية (والسريانية منها) والحبشية في الصائت ā- أو a- بعد النون بوجود هذا الصائت في السامية الأم**"(٢).

لذلك يمكن تفسير الصيغة العبرية (ʾânōkī) على أنها متطورة عن الصيغة الأكادية (ʾanāku)، وقد حدث هذا التطور في مرحلتين:

الأولى: حدثت الإمالة للصائت (ā) قبل النون نحو الضمة بتأثير من الصائت (u) في نهاية الصيغة؛ مما أدى إلى نشوء الصيغة (*anōku).

الثانية: حدثت عملية القياس أو التأثر بالضمير المتصل للمتكلم المضاف إليه الاسم (ī)(٣)، فالضمة "**هي الأصل والكسرة مأخوذة من الضمير المتصل المجرور**،

---

(١) رمزي بعلبكي، المقايسة في صيغ الضمائر العربية والسامية، ص ٢٥.

(٢) السابق، ص٢٥.

(٣) السابق، ص ٢٥.

أي (ī) **في مثل كتابي**"[1]، أو بتأثير الضمير المتصل المنصوب للمتكلم (nī)[2]، مما أدى إلى نشوء الصيغة العبرية (ʾânōkī)

وهناك رأي آخر نبه عليه Barth يفسر الصائت (ī) في الصيغة العبرية (ʾânōkī)، مفاده أن الكسرة الأخيرة ناشئة بالمخالفة بين الصائتين (u و ō)، "**أي منعًا لتوالي صائتين متشابهين في صيغة** (*ʾânōku) **التي كنا نتوقعها**[3]"، غير أن ما يؤخذ عليه هو عدم تفسيره للصائت (ī) في صيغة (ʾanī)، مما يرجح الرأي الآخر.

أما الصيغة العبرية (ʾanī) فإنها ناشئة بالقياس على ضمير المتكلم المضاف إليه الاسم[4] (ī) أو بتأثير الضمير المنصوب (nī)[5].

من ذلك نخلص إلى أن لدينا صيغتين أصليتين هما صيغة (ʾanāku) الأكادية، وصيغة (ʾanā) الواردة في باقي اللغات السامية. وذهب محمد عبد الله جبر "**إلى أن أقدم صيغ ضمير المتكلم في اللغات السامية هي الصيغة البابلية الآشورية (الأكدية)** (ʾanāku)"[6] دون أن يعلل ذلك علميًا مكتفيًا بقوله: "**وأنا أميل**"؛ غير أن ما ذهب إليه ليس بعيدًا عن الاحتمال.

وفي مقابل ذلك ذهب رمزي بعلبكي إلى أن اللغة السامية الأم كانت تحتفظ بكلتا الصيغتين (ʾanāku) و (ʾanā)[7]، ويبدو هذا الرأي أقرب إلى الصواب، ذلك أنه "**إذا تباين نظامان متناظران في لغتين شقيقتين، وكان لكل من النظامين من التَعَقُّد ما لنظيره، فأغلب الظن أن يرجع النظامان إلى نظام غير متناسق في اللغة الأم اشتمل على عناصر كل من النظامين الثانويين**"[8]. وهذا ما يفسر اشتمال اللغة السامية الأم على الصيغتين. ثم اختارت

---

(١) برجشتراسر، التطور النحوي للغة العربية، ص ٧٦.

(٢) رمزي بعلبكي، المقايسة في صيغ الضمائر العربية والسامية، ص ٢٥.

(٣) وشبيه بذلك ما حدث للكلمة rīšōn العبرية (أول) التي كان متوقعًا أن تكون *rōšōn لولا المخالفة، السابق، ص٢٥، هامش ٣١.

(٤) السابق،ص٢٥.

(٥) وهناك تفسير اخر لصيغة (ʾanī) جاء به Barth إذ اعتبر الصائت (ī) عنصرًا إشاريًا مستقلاً مضافًا إلى العنصر (ʾan)، ورأى O.Vogel أن الصائت (ī) عنصر مستقل شبيه بالاسم الموصول. السابق، ص٢٥،هامش ٢٨.

(٦) محمد عبد الله جبر، الضمائر في اللغة العربية، ص ٢٠.

(٧) رمزي بعلبكي، المقايسة في صيغ الضمائر العربية والسامية، ص ٢٥.

(٨) فرنر ديم، حول اللغة العربية الفصحى واللهجات العربية واللغة العربية الأم، ص ٢٨.

اللغة الأكادية استعمال الصيغة (ʾanāku) منفردة. واختارت المجموعة العربية/الحبشية، وكذلك مجموعة اللغات الآرامية الصيغة (ʾanā) منفردة، في حين ذهبت اللغات الكنعانية إلى المحافظة على سمات اللغة الأم في هذا المجال فأبقت على الصيغتين معًا.

وإذ ما عدنا إلى تأصيل الضمير (أنا)، وجدنا الآراء في هذا الموضوع ما زال يسودها الاختلاف. ففي حين رأى البصريون أنه مكوّن من (أن + ا ʾana + ā)، ورأى الكوفيون أن الضمير (أنا) بكاملها، فلم تلتق وجهات النظر الحديثة على رأي واحد. فقد ذهب السيد يعقوب بكر إلىأن الضمير (أنا) مكوّن من الضمير (أ) المتصل بالمضارع والنهاية الإشارية (نا)[١]، فهذا الرأي وإن كان مخالفًا لجميع من قال بتركيب (أنا) -كما سيظهر- فإنه يقترب بشكل ما من رأي للسهيلي مفاده أن حرف المضارعة (أ) مأخوذ من الضمير (أنا)[٢]، وإن كان السهيلي لم يقل بتركيب (أنا) من أ + نا، إلا أن ثمة تشابهًا بينهما في إدراك علاقة ما بين (أ) في المضارع والهمزة في أول الضمير. وذهب مهدي المخزومي إلى أن الضمير (أنا) مركب من أنْ والألف؛ والضمير عنده الألف و (أنْ) عماد[٣].

وفي مقابل هذا الرأي رأى جمهور المستشرقين -منهم بروكلمان[٤]، وبرجشتراسر[٥]، وهنري فليش[٦]- أن الضمير (أنا) مركب "**من: ʾa ... التي لا تزال تقابلنا وحدها في الفعل، ومن: ʾan**"[٧] الذي "**يحتمل أن يكون من أدوات الإشارة**"[٨]، وقد تابعهم في ذلك عدد من الباحثين العرب، منهم علي عبد الواحد وافي[٩]، وفهمي أبو الفضل، وعبد المجيد عابدين، ومحمد عبد الله جبر[١٠].

---

(١) السيد يعقوب بكر، دراسات في فقه اللغة العربية، ص ٤١.

(٢) السهيلي، نتائج الفكر، ص ١١٨.

(٣) مهدي المخزومي، في النحو العربي قواعد وتطبيق، ص٥٠.

(٤) بروكلمان، فقه اللغات السامية، ص ٨٦.

(٥) برجشتراسر، التطور النحوي للغة العربية، ص ٧٦.

(٦) هنري فليش، العربية الفصحى، ص ١٦٣.

(٧) بروكلمان، فقه اللغات السامية، ص ٨٦.

(٨) برجشتراسر، التطور النحوي للغة العربية، ص ٧٦.

(٩) ضمير المتكلم المرفوع، ص ١٠١-١٠٢.

(١٠) محمد عبد الله جبر، الضمائر في اللغة العربية، ص ٢٢-٢٣.

وحاول برجشتراسر أن يعلل تحول الضمير (أنا) من الصورة المفترضة (ʾan + a) إلى الصورة (ʾanā) من خلال قاعدة تسهيل الهمز التي تنص على أنه: "**إذا وقع همزتان، في أول مقطعين متتالين خففت الثانية**"(١). وفي الواقع فإن برجشتراسر يفرّق بين نوعين من أنواع تخفيف الهمزة الثانية المذكور، إذ يرى أنه إما أن تحذف الهمزة الثانية دون التعويض عنها في مثل (أرى) التي كان أصلها (ارأى) (ʾarʾa) ← (أرى) (ʾarā)، وهو يرى أن هذا النوع من التسهيل قد حدث في اللغات السامية في وقت أقدم بكثير من وقت حذف الهمزة والتعويض عنها بالمد في مثل (آبار)(٢) التي كان أصلها (أبآر) (ʾabʾār) ← (آبار) (ʾābār)، إذ حذفت الهمزة وعوّض عنها بمد الحركة المرافقة للهمزة الأولى. وهذا النوع من التسهيل "**خاص بالعربية، لا يرتقي إلى زمان أقدم، من زمان افتراق العرب عن الأقوام السامية الشمالية**"(٣). وهذا كله لا يمكن أن يطبق على (أنا)؛ إذ لو حذف الهمز دون عوض حسب باب (أرى) لأصبح الضمير (أن) (ʾan + a) ← (ʾana)، وهو التسهيل الأقدم كما ذكر، ولو حذف الهمز مع العوض حسب باب (آبار) لأصبح الضمير (آن)(٤)(ʾanā + a) ← (ʾanā) في حين أن هذا التسهيل خاص بالعربية. مما يطعن في تفسير برجشتراسر للتسهيل في (أنا)، لكن ذلك لا ينفي مطلقاً احتمال هذا التسهيل.إذ ربما سهل الهمز، بغض النظر عن توالي الهمزتين. ومما يدعو إلى رفض تفسير برجشتراسر هذا أن نتاج تطبيق القاعدة المذكورة (ʾana) و (ʾānaʾ) لم تردا في أي لغة سامية، إذ المرجح أن الصورة العربية (ʾana) وكذلك الصورة الحبشية هي متطورة عن (ʾanā)، إذ من الثابت أن الصائت (ā) بعد النون هو صائت طويل في السامية الأم.

---

(١) برجشتراسر، التطور النحوي، ص ٤٠-٤١.

(٢) السابق، ص ٤٢.

(٣) السابق،ص٤٢ .

(٤) روى الفراء وقطرب هذه الصيغة كما مرّ وربما كان هذا تفسيراً لها، انظر اللسان،(أنن). ج١٣،ص٣٨؛ وابن يعيش، شرح المفصل، ج ٣،ص٩٤.

لكن يمكن تسهيل الهمز في (*أنأ ، ʾanʾa*) بحذف الهمزة الثانية -بغض النظر عن وجود الهمزة الأولى- والتعويض عنها بمد حركتها وفقًا لما حدث في الكلمات التالية[1]:

القَبْأَةُ ← القَبَاةُ (وهي نبت) ʾalqabāʾatu←ʾalqabʾatu

والكَمْأَةُ ← الكَمَاةُ ʾalkamāʾatu←ʾalkamʾatu

والمَرْأَةُ ← المراة ʾalmarāʾatu ← ʾalmarʾatu

مما يطعن من جهة أخرى في رأي البصريين ويرجح الرأي الكوفي في اعتبار الألف جزءًا من الضمير.

وكما أدرك المستشرقون أن المقطع (أنْ) (ʾan) هو عنصر إشاري يُتلى بلاحقة مأخوذة من الفعل المسند إلى المتكلم أو المخاطب لتكوين ضمائر المتكلم والمخاطب المنفصلة، فكذلك أدرك النحاة العرب -البصريون- هذا الجانب فنصوا على أن ضمائر المتكلم والمخاطب مكوّنة من المقطع (أنْ) وحرف يدل عليه، عادة ما يكون ضميرًا متصلاً. فقالوا في (أنْت): **"فالاسم منه الألف والنون عندنا وهي التي كانت للمتكلم، زيدت عليها التاء للخطاب، وهي حرف معنى مجرد من معنى الاسمية"**[2]. **"وكان (أنا) عندهم ضميرًا صالحًا لجميع المخاطبين والمتكلم، فابتدؤا**[3] **بالمتكلم، وكان القياس أن يبينوه بالتاء المضمومة نحو (أنتُ)"**[4].

من ذلك يظهر أن حسّ علماء البصرة اللغوي قد قادهم إلى إدراك أنّ هناك جزءًا مفقودًا من هذا الضمير، وهو المقابل للتاء في الخطاب. فلو أدركوا أن تاء المتكلم منقلبة عن كاف[5]، كما ظهر في الدراسات الحديثة، لقادهم ذلك إلى أن الضمير (أنا) كان يجب أن يكون (*أنْكُ ʾanku*) وهي قريبة من الصورة الأكدية.

---

(١) يقول سيبويه في ذلك: **"واعلم أن كل همزة متحركة قبلها حرف ساكن فأردتَ أن تخفف، حذفتها وألقيت حركتها على الساكن الذي قبلها. وذلك قولك: مَنَ بُوك ... ومثله قولك في المرأة: المَرَةُ، والكَمْأَةُ: الكَمَةُ.** [وهو ما ذكره برجشتراسر من حذف الهمزة دون عوض مثل "أريت"]، **وقد قالوا الكَمَاةُ والمَرَاةُ، ومثله قليل".** الكتاب، ج٣، ص ٥٤٥، وهو ما يمكن قياس (أنا) عليه.

(٢) ابن يعيش، شرح المفصل، ج٣، ص ٩٥.

(٣) كذا في الكتاب والصواب (فابتدؤوا)

(٤) الأستراباذي، شرح الكافية، ج٢، ص ١٠.

(٥) برجشتراسر، التطور النحوي، ص ٧٦.

تطور الضمير "أنا"

وقد تطور الضمير "أنا" في العربية في عدة مسارات، وقد تركز هذا التطور في الحركة الأخيرة (ā). إذ ساعد التركيب المقطعي للضمير (أنا) (ص ح/ ص ح ح) في هذا التطور، بل كان السبب المباشر فيه أحيانًا. فبسبب هذا التركيب كان عرضة لتكوُّن المقطع المديد (ص ح ح ص) وصلاً[1] إذا تُلِيَ بصوت ساكن، كأن يتلى باسم معرَّف بال أو مصدَّر بهمزة وصل، مثال ذلك قول الرسول صلى الله عليه وسلم راجزًا:

"أنا النَّبِيُّ لا كذِبْ، أنا ابْنُ عَبْدِ المُطَّلِبْ"[2].

وبسبب تكون المقطع المذكور فإن اللغة تعمل على تقصير الصائت الطويل فيتحول إلى المقطع (ص ح ص)، لذلك كان التقصير على حساب الألف في نهاية الضمير ليصبح (أن).

ثم عمدت العربية إلى توسيع هذا الاستعمال سواء تكوَّن المقطع المديد (ص ح ح ص) أم لم يتكوَّن طردًا للباب على وتيرة واحدة، فكان الاستعمال الغالب للضمير (أنا) هو (أن) مما حدى بالبصريين إلى القول بأن الألف في آخره هي لبيان الحركة كما تقدم. أما قبيلة تميم فقد احتفظت بالأصل[3]، إذ لم تقصر الصائت الطويل إلا عند تكوّن المقطع المديد، مما يفسّر ورود صيغة (أنا) وصلاً في الشواهد السابقة، في بداية الحديث عن ضمير المتكلم[4].

ووقفت العربية على الضمير أنا بأسلوبين هما:

١- الوقوف عليه بإكمال المقطع (ص ح) الشائع في الاستعمال، وقد كان لإكمال هذا المقطع في العربية طريقان هما:

أ- الوقوف عليه بالألف، أي بإكمال المقطع (ص ح) بالحركة ليصبح (ص ح ح) وهو الإتيان بالضمير على أصله، أي بالحركة الطويلة. وهذا الأسلوب في الوقف على (أنا) هو الشائع في العربية[5]، وقد نص سيبويه على هذا الأسلوب

---

(١) وهو مقطع مرفوض عربيًا، ولا يُسمح به إلا في الوقف أو إذا كان الساكن المُقْفَلُ للمقطع مشدّدًا مثل (احمارّ) انظر هنري فليش، ص ٤٤؛ وانظر أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، ص ٢٥٦-٢٥٧.

(٢) صحيح مسلم، ج١٢،ص١١٨، الحديث رقم (١٧٧٦).

(٣) انظر الأستراباذي، شرح الكافية، ج٢، ص ٤٩؛ البغدادي، خزانة الأدب، ج٥، ص ٢٤٢.

(٤) انظر ص ١٠-١١ من هذه الدراسة.

(٥) انظر ابن يعيش، شرح المفصل، ج٣، ص ٩٣، الأستراباذي؛ وشرح الكافية ج٢، ص ٩.

باعتباره الأسلوب الصحيح، إذ قال: "**لا يكون في الوقف في أنا إلا الألف**"(١). والسبب في الإبقاء على الألف في الوقف هو أن الألف لم تتعرض لأي محذور صوتي يعمل على تقصيرها.

ب- الوقوف عليه بهاء السكت:

إذ وقفت العربية عليه بالهاء ليصبح على الصورة (أنهْ)(٢) "**وهي لغة جيدة، وهي في عُليا تميم وسُفلى قيس**"(٣)، وقد علق ابن جني على هذه اللغة بأنها لغة قليلة جدًا(٤)، في حين نسبها رضي الدين الأستراباذي إلى بعض طيّئ(٥). ومن الشواهد على هذا الاستعمال قول الشاعر:

إنْ كُنْتُ أدْرِي فعَلَيَّ بَدَنَهْ منْ كَثْرَةِ التَّخْلِيْط فيَّ مَنْ أنهْ(٦)

ويستشهد على هذه اللغة بقول نُسب لحاتم الطائي في كتب النحو، نصه: "**هكذا فزدي أنَهْ**(٧)" ، وربما كانت نسبة هذا المثل لحاتم الطائي هو الذي دفع الأستراباذي إلى نسبة هذه اللغة إلى بعض طيّئ، غير أنّ هذا المثل نُسب في مجمع الأمثال لكعب بن مامة (٨).

ويمكن أن يفسر هذا الاستعمال، بأن العربية مالت إلى إقفال المقطع (ص ح) - بعد شيوع استعمال (أنَ)- بصوت صامت هو الهاء (h) ليصبح (ص ح ص).

٢- الوقوف عليه دون إكمال المقطع، أي بالتخلص من الحركة الأخيرة، إذ من العرب من يقف على الضمير (أنا) بسكون النون "أنْ"(٩) وزاد على ذلك ابن يعيش أن من

---

(١) سيبويه، الكتاب، ج٤، ص ١٦٤.

(٢) ابن يعيش، شرح المفصل، ج٣، ص ٩٤؛ الأستراباذي، شرح الكافية، ج٢، ص ٩.

(٣) الفراء، معاني القرآن، ج٢، ص ١٤٤ في حديثه عن قوله "**لكنّا هو الله ربي**" الكهف، الآية ٣٨، وانظر النص منقولاً في الخزانة، ج١١، ص ٢٢٩.

(٤) ابن جني، سر صناعة الإعراب، تحقيق حسن هنداوي، ج٢، ص ٥٥٥.

(٥) الأستراباذي، شرح الشافية، ج٢، ص ٢٩٤.

(٦) لم يُعرف قائله، ورد في شرح المفصل، ج٣، ص ٩٤؛ شرح الكافية، ج٢، ص ٩؛ الخزانة، ج٥، ص ٢٤١ وفيها (أني من أنه)؛ شرح شواهد الشافية، ص ٢٢٢ وروايته: لم كنت ... أني من أنه.

(٧) الأستراباذي، شرح الكافية، ج٢، ص ٩؛ شرح الشافية،ج٢ ص ٢٩٤. وانظر ابن يعيش، شرح المفصل؛ ج٣، ص ٩٤.

(٨) الميداني، مجمع الأمثال، ج٢، ص ٣٩٤؛ وقد أورده بإسقاط موطن الشاهد.

(٩) الأستراباذي، شرح الكافية، ج٢، ص ٩.

العرب "**من يسكّن النون في الوصل والوقف فيقول: "أنْ فعلتُ**"[1]، ويمكن تفسير ذلك وفق منهج العربية في الوقف بالتخلص من الحركة ليصبح الضمير مكونا من ص ح ص (أنْ)، وربما استعمل ذلك وصلاً كما ذكر ابن يعيش.

أما رواية الفراء (آنَ فعلتُ) السابقة فيمكن تفسيرها وفق رأي برجشتراسر في تسهيل الهمز، إذ تُحذَف الهمزة الثانية ويعوض عنها بمد الحركة المرافقة للهمزة الأولى[2] -كما مر سابقًا- وفق باب آبار:

* أنأ *ʾanʾa ← آنَ ʾana

ويمكن تلخيص مراحل تطور الضمير "أنا" عربيًا كما يلي:

(أنْ + أأ + ʾan + ʾa) (في السامية الأم) ← في العربية (أنا ʾanā) ← وصلاً

أنا	ʾanā
أنَ	ʾana
آنَ	ʾāna
أنْ	ʾan

← وقفًا

أنا	ʾanā
أنَهْ	ʾanah
أنْ	ʾan

(١) ابن يعيش، شرح المفصل، ج٣،ص٩٤.

(٢) برجشتراسر، التطور النحوي، ص ٤١.

٢- ضمير جماعة المتكلم (نَحْنُ، naḥnu):

صاغت العربية ضمير جماعة المتكلم وفق صيغة مغايرة لصيغة المتكلم المفرد، وهذا النهج ليس بدعًا في اللغة العربية، بل هو نهج أخواتها الساميات والعديد من اللغات الأخرى[١]. فعلى الرغم من اعتماد اللغات السامية دوال إلصاقية للتثنية والجمع والتأنيث في الضمائر -كما سيظهر عند الحديث عن ضمائر الخطاب والغيبة- فإن الضمير (نحن) كان بناؤه مغايرًا لبناء الضمير (أنا)، وعلل نحاة العربية ذلك بأنه "**لم يرد ضَمُّ متكلم إلى متكلم كما كان التثنية ضم اسم إلى اسم، وإنما المتكلم يتكلم عن نفسه وغيره، ولم يكن المتكلم مما يلبس بغيره لإدراكه بالحاسة**"[٢] وهو ما يفسر خلو ضمائر التكلم من دال الجنس اعتمادًا على مقام الحال. أما دلالته على العدد فقالوا فيها: "**وإنما ارتجل لمثنى المتكلم وجمعه صيغة وهي (نحن)، ولم يزيدوا للمثنى ألفًا والجمع واوًا كما فعلوا في مثنى المخاطب وجمعه والغائب وجمعه؛ لأن مثناهما اسم انضم إليه لفظ آخر مثله ... وهذه حقيقة المثنى وكذا في الجمع**"[٣]. أي أن (نحن) غير متكون من أنا + أنا + أنا، ولكنه متكون من أنا + أنت، أو أنا + هو، أو أنا + أنت + هو، ... إلخ.

وتابع برجشتراسر نحاة العربية في ذلك قائلاً: "**لكن المتكلم المجموع، أي: نحن، ليس بمتكون من أفراد متساوية كل واحد منها، متكلم مفرد، أي : (أنا)**"[٤]، أما بروكلمان فقد اكتفى بالإشارة إلى غموض هذا الضمير[٥].

وهذا التعليل الذي قدمه نحاة العربية يشير إلى أثر بعيد في دلالة (نحن)، ففي حين تغلب الإشارة إليه بقولهم: ضمير "**جماعة المتكلمين**" أو "**المتكلم المجموع**"، نصّ بعض النحاة على أنّ نحن: "**للمتكلم مع غيره**"[٦] وهو اصطلاح دقيق أكثر دقة من قولنا ضمير

---

(١) برجشتراسر، التطور النحوي، ص ٧٧.

(٢) ابن يعيش، شرح المفصل، ج٣، ص ٩٤.

(٣) الأستراباذي، شرح الكافية ج٢، ص ٤٧؛ وانظر السهيلي، نتائج الفكر، ص ٢٢٣.

(٤) برجشتراسر، التطور النحوي، ص ٧٧، وفيه "**كل واحد منهما**" وهو تحريف.

(٥) بروكلمان، فقه اللغات السامية، ص ٨٦.

(٦) الأستراباذي، شرح الكافية، ج٢، ص ١٠؛ انظر ابن يعيش، شرح المفصل، ج٣، ص ٩٤.

"**جماعة المتكلم**" إذ إن الضمير ليس عائدًا على جماعة المتكلم بل هو عائد على المتكلم مضافًا إليه غيره، إذ يتبادر إلى الذهن من قولنا "**جماعة المتكلم**" أنه عائد إلى جماعة المتكلم دون المتكلم، ويقوي هذا الفهم قول سيبويه: "... **وإن حدَّث عن نفسه وعن آخر قال: (نحن)، وإن حدّث عن نفسه وعن آخرين قال: (نحن)**"[1]. إذ أدرك سيبويه أن المتكلم واحد دائمًا، ولا وجود لجمع المتكلمين في صيغة ضميرية.

وقد نظر نحاة العربية إلى الضمير (نحن) باعتباره وحدة واحدة، وهو ما يتضح من قول الأستراباذي: "**ارتجلوا**"[2]، غير أنهم توقفوا عند بنائه على الضم، وكان لهم في ذلك آراء سنأتي على ذكرها. أما الآراء التي حاولت تحليل الضمير (نحن) إلى مكوناته، فإنها مختلفة فيما بينها، حتى لنجد بعضها أقرب إلى الافتراض العقلي المحض البعيد عن دراسة اللغة.

الآراء المختلفة في تفسير الضمير (نحن):

أول ما يطالعنا من شأن هذا الضمير هو محاولة تفسير وجود المقطع (ʾa) (أ) -الذي ربما ظهر على شكل (ʾe) في بعض اللغات السامية- الذي يتصدر هذا الضمير في العديد من اللغات السامية- كما في العبرية (ʾānaḥnū)، والآرامية (ʾenaḥna)، والسريانية (ʾenaḥnan) -إذ انقسمت الآراء حوله إلى اتجاهين بارزين، أحدهما قال بأصالة هذا المقطع في تكوين الضمير (نحن)، والآخر نفى ذلك وحاول أن يثبت أنه زائد.

وتبعًا للاتجاه الأول يرى Dillmann أن الصيغة العبرية (ʾānaḥnū) متكونة من تكرار ضمير المتكلم المفرد ʾānōkī.

ʾanaḥ+ ʾanaḥ→ ʾanaḥnaḥ→ ʾănaḥnū

وهو يرى أن ضمير جماعة المتكلم في جميع اللغات السامية ما هو إلا تخفيف لهذا الأصل، أي أن المقطع (ʾa) أصيل في هذه الصيغة[3]، بالإضافة إلى أن هذا التفسير ينفي

---

(١) سيبويه، الكتاب، ج٢، ص ٣٥٠.

(٢) الأستراباذي، شرح الكافية، ج٢، ص ٧.

(٣) رمزي بعلبكي، المقايسة في صيغ الضمائر العربية والسامية، ص ٣٠.

أن تكون صيغة (نحن) ذات تكوين مختلف عن (أنا). وقد وجه رمزي بعلبكي إلى هذا التفسير انتقادات منها: "**لم يكون أصل ضمير المتكلم** anāḥ **؟ وكيف نشأت الحاء فيه؟ ولم يُجمَعُ مرتين لا ثلاثًا إذا دلَّ على الجمع؟**"(١).

أما Vogel فقد وافق القول بأصالة هذا المقطع. غير أنه حاول أن يفسره وفق أصل افتراضي عنده، هو (אנחמון) "**المكونة من عنصرين: أولهما** (אנח) - **وهي عنده ضمير متكلم-، وثانيهما** (מון)**التي يفترض كونها أداة دالة على الجمع**"(٢)، وهو يرى أن هذه الميم قلبت إلى نون ثم حذفت النون الأخيرة.

אנח + מן ⟵ אנחמון ⟵ אנחנון ⟵ אנחנו

وهو رأي يقترب من الاعتباطية، إذ من أين أتى بالأداة מון التي لا نرى لها سندا لغويًا.

ويرى محمد سالم الجرح أن المقطع (ʾa) أصيل، من خلال اعتباره أن المقطع (أنْ) (ʾan) أصل في جميع ضمائر التكلم والخطاب، وأطلق عليه اصطلاح "**القاعدة الضميرية**"(٣) وتابعه في ذلك محمد عبد الله جبر، وعلَّق على هذا الرأي قائلاً: "**ومن السهل إدراك السبب في سقوط الهمزة من الصور السامية التي تخففت منها وحدها، أو من المقطع (أنْ) بأكمله**"(٤). غير أن ذلك ينطوي على مغالطة كبيرة، إذ ليس من السهل تصور سقوط هذا المقطع سواء أكان السقوط لـ (ʾa) أم لـ (ʾan) فضلاً عن تصور تركيبه في الضمير (نحْنُ)، فالمقطع (أنْ) (ʾan) الذي سمَّاه الجرح القاعدة الضميرية ساكن النون، وهو متكون من مقطع طويل مقفل (ص ح ص)، في حين أن النون الأولى في (نحْنُ) متحركة في اللغات السامية جميعها(٥)، مما ينفي اجتماع النون الأولى و (ʾa) في مقطع واحد، خلافا لما نراه في ضمائر الخطاب.

---

(١) السابق، ص ٣٠.

(٢) السابق، ص ٣٠.

(٣) محمد سالم الجرح، نظرة تحليلية مقارنة على الضمائر العربية، ص ٥٧.

(٤) محمد عبد الله جبر، الضمائر في اللغة العربية، ص ٢٦.

(٥) انظر جدول الضمائر في، بروكلمان، فقه اللغات السامية، ص ٨٥؛ ولفنسون، تاريخ اللغات السامية، ص ٩٨.

أما الرأي المقابل –القول بزيادة المقطع (ʾa)– فقد نادى به بروكلمان، إذ رأى أن أقدم صيغ هذا الضمير هي ما ورد في اللغة العربية (نحْنُ)، وما ورد في اللغة العبرية[١] على قلة (נָחְנוּ) [٢]، وفي مقابل ذلك فإن العبرية والآرامية والآشورية تزيد عليه المقطع (ʾa) قياسًا على المفرد[٣]. وتابع رمزي بعلبكي بروكلمان في ذلك محاولا تأكيد هذا الرأي قائلا: إنّ (ʾa) **"ليست في ضمير المتكلمين عنصرًا مشتركًا منحدرًا من السامية الأم، لخلو كثير من اللغات السامية منها؛ وإن كان كذلك قَوِيَ اعتقاد كونها مزيدة على ضمير المتكلمين في بعض هذه اللغات بالمقايسة، ويتضح أن ضمير المتكلم هو المؤثر في ضمير المتكلمين بملاحظة تشابه الصائت الذي يلي الهمزة في كل من (אֲנִי) (ʾānī) و(אֲנַחְנוּ) (ʾāna ḥnū) العبريتين، وكذلك في كل من (ʾenā) و (ʾena ḥnan) السريانيتين، وكذلك في كل من (ʾanāku) و(ʾanēni/u) الأكديتين"**[٤]. مما يشير إلى أن ما قدمه بروكلمان هو أكثر قربًا إلى الصواب. وقد ذهب جورجي زيدان إلى أبعد من القول بزيادة (ʾa)، إذ رأى أن كل نون ترد **"في أوائل الضمائر الظاهر أنها عارضة عليها، بدليل وجودها في الجميع على السواء"**[٥]. أي أن النون الأولى في (نحْنُ) زائدة أيضا، وهو رأي يحتاج إلى أدلة مقنعة لم يقدمها جورجي زيدان.

وإذا ما سلمنا بأنّ صيغة (نحن) هي أسبق من الصيغ الأخرى المصدرة بـ (ʾa) فالسؤال المطروح؛ ما هو الدور الذي تقوم به النون الأولى في دلالة هذا الضمير؟ يجيب على ذلك أوليري بأنها تمثل عنصرًا إشاريًا سواء أكانت على شكل (-n) أو (-ʾan) [٦]، غير أنه لم يبين هي عنصر إشاري لأي شيء، أتشير إلى العدد أم الجنس أم الشخص أم ...؟ أما جورجي

---

(١) بروكلمان، فقه اللغات السامية، ص ٨٦.

(٢) إذ وردت (נָחְנוּ) في العهد القديم ست مرات فقط منها سفر الخروج الاصحاح ١٦ عدد ٧ والعدد ١٨؛
O'leary. Comparative Grammar of the Semitic Languages, Philo Press, Amsterdam, 1969, p. 142.

(٣) بروكلمان، فقه اللغات السامية، ص ٨٦.

(٤) رمزي بعلبكي، المقايسة في صيغ الضمائر العربية والسامية، ص ٣٠.

(٥) جورجي زيدان، الفلسفة اللغوية، ص ١١٥.

(٦) O'leary. Comparative Grammar of the Semitic Languages, p. 141.

زيدان فقال: "**أما مؤداها فيصعب الحكم في شأنه على أني لا أرى مانعًا من كونها تفيد التوكيد أو التعريف وربما كانت وإن التوكيدية من أصل واحد**"(١).

وكذلك أثار الصائت الذي يتلو النون الأولى فضول العلماء، فاختلفوا في أصله أهو فتحة (a) أم كسرة (i)؟ فقد ذهب كل من برجشتراسر وفرنرديم إلى أن أصل (نحْنْ) هو (* نحِنْ) أي أن الأصل (i) ثم قلبت إلى (a) بتأثير من الحرف الحلقي بعدها وهو الحاء(٢). غير أن رمزي بعلبكي عارض هذا الرأي معتبرًا أن الحركة الأصل هي الفتحة (a)، إذ قال: "**غير أن هذا التفسير غير مقنع لأن القواعد الصوتية في كل من الأكدية والحبشية تحتم انقلاب الفتحة الأصلية إلى كسرة في مثل هذه الكلمة. مثال ذلك في الأكدية (belum) التي أصلها(ba'lum *) ... وفي الحبشية كثيرًا ما تتحول الفتحة في المقطع المفتوح إلى كسرة بعد عدد من الصوامت، من بينها الحاء وعلى ذلك يكون أصل (ነሕና neḥna) هو (ነሕና na ḥna *) ... وكذلك نعتقد أن الأصل في السامية الأم هو (na ḥnu) بالفتح**"(٣). لكن ذلك لا يعتبر دليلاً ينفي ما ذهب إليه برجشتراسر وفرنرديم إذ يمكن أن تكون الكسرة بعد النون الأولى قد قلبت فتحة في جميع اللغات السامية عدا هاتين اللغتين، فالمنهج الصوتي لهما لا يعتبر دليلاً قاطعًا على أن كل كسرة قبل حرف حلقي كان أصلها فتحة، وإلا كيف يمكن تفسير وجود الكسرة في الصيغة الأكدية (nīni/u) أو (ʾanēni/u) مع انعدام وجود الحرف الحلقي، فحسب رأيه كان الأولى أن تكون فتحة لا كسرة لانعدام السبب في قلبها إلى كسرة، وهو الحاء.

أما أقوال العلماء في (الحاء) فقد كانت أكثر اختلافًا مما سبق، فقد ذهب السهيلي إلى أن العرب "**جعلوا بين النونين حاءً ساكنة لقربها من مخرج الألف الموجودة في ضمير المتكلم قبل النون وبعدها**"(٤)، وهو لذلك يكاد يقول إنها منقلبة عن ألف المتكلم. أما أوليري فذهب إلى اعتبارها عنصرًا دالاً على الشخص(٥)، وكذلك يقترب من هذا القول ما قال به

---

(١) جورجي زيدان، الفلسفة اللغوية، ص ١١٥.

(٢) برجشتراسر، التطور النحوي، ص ٧٧؛ فرنرديم، حول اللغة العربية الفصحى واللهجات العربية واللغة العربية الأم، ص٣١.

(٣) رمزي بعلبكي، المقايسة في صيغ الضمائر العربية والسامية، ص ٢٩.

(٤) السهيلي، نتائج الفكر، ص ٢٢٤.

(٥) O'leary, Comparative Grammar of the Semitic Languages, p. 141.

جورجي زيدان، إذ قال: إن ضمائر التكلم إذا جردت "**من مميزات العدد والجنس والنون الزائدة يتضح أن الأصل المختص بالتكلم على إطلاقه مقطع حلقي محصور بين الياء والكاف**"(١)، وهو يرى أن المقطع الحلقي المختص بالمتكلم فقد من العربية والسريانية في المفرد لكنه لم يزل محفوظًا في الجمع (حاء)، أما في العبرية فهو يرى أنه حفظ في كل من المفرد والجمع غير أنه فقد في الجمع، في أزمنتها المتأخرة، فكان في أول زمانها (أنحنو) ثم سقطت الحاء لكثرة الاستعمال فقالوا: (أنو)(٢). أما عبد الحق فاضل فقد رأى أن الحاء زائدة دون أن يعلل وجودها أو اعتباره إياها زائدة(٣). وذهب محمد سالم الجرح إلى ضرورة وجود حرف مد (ā) يفصل بين النونين كي لا يدغما أو تسقط إحداهما،ثم قلب حرف المد (ā) إلى هاء، ثم تحولت هذه الهاء إلى حاء(٤).

*أنانو ← * أَنهنو ← أَنحنو ← نحنْ.

وهو يرى "**أن الحاء ليست عنصرًا أصيلاً في الضمير وإلا لما جاز حذفها**"(٥)، ومما يؤخذ على هذا الرأي: لمَ كان حرف المد الفاصل بين النونين ألفًا، ولم يكن حرف مد آخر؟ ولمَ تنقلب هذه الألف إلى هاء في وسط الكلمة، في حين أن المعروف هو قلبها إلى هاء إذا وقعت آخرًا (هاء السكت).

أما أقوال النحاة في النون الأخيرة، فقد ذهب السهيلي إلى اعتبار النونين شيئًا واحدا، وهما عنده نون المتكلم المفرد(٦)، وذهب عبد الحق فاضل إلى اعتبار (نحنْ) مكونة من "**تا + ح زائدة + نو (أثلها: نا)**"(٧)، أي أنه اتفق مع السهيلي في اعتبار النونين شيئًا واحدا، والنون عنده كانت تستعمل بمعنى بعض الأقارب ثم "**استعمل النون كذلك ضميرًا عامًا كهمزة التنبيه، منذ سحيق الأحقاب، وتفرقت صيغه المختلفة في مختلف الضمائر العربية، مفتوحًا ومضمومًا ومكسورًا ... ويجيء مضمومًا في آخر (نَحْنُ) وفي أول صيغ الأفعال**

---

(١) جورجي زيدان، الفلسفة اللغوية، ص ١١٦.

(٢) السابق، ص ١١٦-١١٧.

(٣) عبد الحق فاضل، أسرار الضمائر، ص ٢٨٠.

(٤) محمد سالم الجرح، نظرة تحليلية مقارنة على الضمائر العربية، ص ٥٩-٦٠.

(٥) السابق، ص ٦٠.

(٦) السهيلي، نتائج الفكر، ص ٢٢٤.

(٧) عبد الحق فاضل، أسرار الضمائر، ص ٢٨٠.

مثل: **نُقدم، نُعطي**"[١]. أما أوليري فيرى أن النون الأخيرة هي بلا شك لاحقة للجمع[٢]، وهي عند محمد سالم الجرح نون جمع المتكلمين، وهي ما سمَّاه العنصر الجوهري، في مقابل القاعدة الضميرية (أن) والمكيف الضميري وهو الضمة[٣].

وقد تخلصت بعض اللهجات العربية من هذه النون في حضرموت (niḥā)، وفي الأمهرية (naḥā) و (ḥā)، و (naḥ) [٤].

وقد توقف النحاة العرب كثيرًا عند بناء هذا الضمير على الضم، فالراجح -عندهم- أن النون حركت لالتقاء الساكنين[٥]، أما علة بنائه على الضم فلهم في ذلك آراء[٦]:

* أنه ضمير مرفوع الموضع فحرك بحركة المرفوع، ونسب ابن يعيش هذا الرأي لأبي الحسن الأخفش الصغير[٧].
* أنه ضمير دال على الجمع والواو من علامات الجمع والضمة من جنس الواو فحرك بأقرب الحركات إلى معنى الجمع، وهو رأي لأبي إسحق الزجاج[٨].
* أنه حرك بالضم تشبيهًا له بقبلُ وبعدُ من حيث إنه صلح لاثنين فصاعدا وهو رأي لأبي العباس المبرد[٩].

---

(١) السابق، ص ٢٧٦.

(٢) O'leary, Comparative Grammar of the Semitic Languages, p. 141.

(٣) محمد سالم الجرح، نظرة تحليلية مقارنة على ضمائر العربية، ص ٥٩.

(٤) O'leary, Comparative Grammar of the Semitic Languages, p. 141

(٥) ابن يعيش، شرح المفصل، ج٣، ص ٩٤؛ انظر الأستراباذي شرح الكافية، ج٢، ص ١٠؛ وانظر الموصلي، شرح ألفية ابن معطي، ج١، ص ٦٦٣؛ وعلق ابن بري على هذا الرأي قائلاً: "**لا يصح قول الجوهري أن الحركة في (نحن) لالتقاء الساكنين لأن اختلاف صيغ المضمرات يقوم مقام الإعراب، ولهذا بنيت على حركة من أول الأمر نحو هو و هي وأنا فعلتُ كذا، لكونها قد تنزلت منزلة ما الأصل في التمكين، قال: وإنما بنيت نحن على الضم لئلا يظن بها أنها حركة التقاء ساكنين، إذ الفتح والكسر يحرك بهما، ما التقى فيه ساكنان**"، اللسان (نحن)، ج١٣، ص٤٢٧.

(٦) انظر ابن يعيش، شرح المفصل، ج٣، ص ٩٤؛ الموصلي، شرح ألفية ابن معطي، ج١، ص ٦٦٣.

(٧) وانظر الأستراباذي، شرح الكافية، ج٢، ص ١٠.

(٨) ابن يعيش، شرح المفصل، ج٣، ص ٩٤؛ الموصلي، شرح ألفية ابن معطي، ج١، ص ٦٦٣؛ أيضا الأستراباذي، شرح الكافية، ج٢، ص ١٠.

(٩) وهو رأي لم يرد في المقتضب.

* أنه بني على الضم لأن أصلها (نحْنْ) بضم العين ثم نقلت الضمة إلى اللام التي هي النون. وهو رأي لقطرب، وقد رده ابن يعيش قائلاً: "**وهذا لا يستقيم لأن النقل من عوارض الوقف فلا يُجْعَلُ أصلاً يُبنى عليه حكم**"(١).

وحاول خليل يحيى نامي أن يطور رأيًا خاصًا به اعتمادًا على رأي الزجاج، إذ رأى أنه من الجائز أن الجماعات السامية القديمة كانت تستخدم صيغتين لمثنى ضمير المتكلم وجمعه وهما(٢):

١- صيغة منتهية بواو بعد النون

٢- صيغة منتهية بألف بعد النون.

"**واستخدمت الجماعات السامية القديمة الصيغة الأولى وهي عبارة عن الصيغ (أنحنو) (ونحنو) و(نحن) لجمع ضمير المتكلم، كما استخدمت الصيغة الثانية وهي عبارة عن الصيغ (أنحنا) و(نحنا) و(نحنَ) لمثنى ضمير المتكلم**"(٣). وهو يرى أن فكرة التثنية ربما أخذت تضعُفُ "**وتتلاشى من الاستعمال للتخفيف أو لأسباب أخرى نجهلها، والظاهر أن الضمير المنفصل للمثنى كان أسرع إلى الزوال من الضمير المتصل بدليل وجود مثنى المتكلم المتصل في الأوجريتية**"(٤) مما جعل بعض الجماعات السامية تستعمل صيغ التثنية (نحنا) و(أنحنا) للمثنى والجمع، وجعل بعضها الآخر يستعمل صيغ الجمع (نحنو) و(أنحنو) للجمع والمثنى معًا، غير أنه لا ينفي أن تكون فكرة التثنية طارئة ومتطورة في اللغات السامية(٥).

---

(١) ابن يعيش، شرح المفصل، ج٣، ص ٩٥.

(٢) خليل يحيى نامي، دراسات في اللغة العربية، ص ٨٩.

(٣) السابق، ص ٨٩.

(٤) السابق، ص ٩٠.

(٥) السابق، ص ٩٠.

ضمائر الخطاب

١- ضميرا المخاطب (أَنْتَ، ʾanta) والمخاطبة (أَنْتِ، ʾanti):

تصاغ ضمائر الخطاب عربيًا عن طريق العنصر (أن) (-ʾan) الذي عده البصريون الضمير[١] مضافًا إليه التاء الدالة على الخطاب (-t)، والتي هي عندهم حرف معنى مجرد من معنى الاسمية[٢]، و(أنْ) عندهم هو ضمير المتكلم- كما مرّ-، إذ يقول السهيلي في ذلك: "**اشتركا [المتكلم والمخاطب] في اللفظ الدال على الاسم الظاهر، وهو الألف والنون. وفُرِّقَ بين ضمير المخاطب وضمير المتكلم بالتاء خاصة، فقالوا: أنْت. وخُصَّتْ "التاء" بذلك لثبوتها علامة لضمير المخاطب الفاعل في " فَعَلْتَ". إلا أنها هناك اسم، وفي (أنتَ) لا موضع لها من الإعراب**"[٣]. في حين "**ذهب الكوفيون إلى أن التاء من نفس الكلمة، والكلمة بكمالها اسم**"[٤]، وهو مذهب الفراء[٥]، وقد ذهب جماعة من النحاة إلى أن الضمير "**المرفوع هو التاء المتصرفة، فكانت مرفوعة متصلة، فلما أرادوا انفصالها دعموها بـ (أنْ) كما هو مذهب بعض الكوفيين وابن كيسان في إياك**"[٦].

أما الآراء المحدثة فقد مالت إلى الرأي البصري، فقد رأى بروكلمان أنّ ضمائر الخطاب مركبة في السامية الأولى من: "**-ta، -tī التي لا تزال تقابلنا وحدها في الفعل- ومن:-ʾan**"[٧] الذي "**يحتمل أن يكون من أدوات الإشارة**"[٨]، وقد ربط بروكلمان،

---

(١) ابن يعيش، شرح المفصل، ج ٣ ص٩٥.

(٢)السابق،ج٣،ص٩٥.

(٣) السهيلي، نتائج الفكر في النحو، ص٢٢.

(٤)ابن يعيش، شرح المفصل، ج٣ ص ٩٥. أي (أنْ) وما يضاف إليه من لواحق.

(٥) الأستراباذي، شرح الكافية، ج٢ ص١٠.

(٦)السابق،ج٢،ص١٠.

(٧) بروكلمان، فقه اللغات السامية، ص٨٦.

(٨) برجشتراسر، التطور النحوي للغة العربية، ص٧٦.

وبرجشتراسر، وأوليري، وهنري فليش، ومحمد عبدالله جبر، وآخرون بين العنصر (- an أنْ) الذي يرد في ضمير المخاطب وبين ضمير المتكلم المفرد أنا←أن[1]، مما يُقرّب هذه الآراء الاستشراقية من الرأي البصري.

وكان تفريق العربية بين المذكر والمؤنث عن طريق التبادل الصائتي، إذ أعطت المذكر المفرد الصائت(a-) في نهاية الصيغة، وأعطت المؤنث المفرد الصائت (i-) في نهاية الصيغة أيضًا، بحيث "**يبدو أن الفرق بين الفتحة النهائية في المذكر والكسرة النهائية في المؤنث، مشترك بين هذه اللغات، ولذلك نستنتج أنه كان قائمًا في اللغة السامية الأم**"[2]، وقد سبق العرب إلى الإشارة إلى ذلك، فقال ابن يعيش: " **فإن خاطبت المؤنث كسرتَها، فقلتَ: "أنتِ"**"[3]، وهو ما يفهم من كلام سيبويه[4]، وقد علل ابن يعيش اختيار الفتح للمذكر بالخفة[5]، وهو رأي لا يستند إلى سند مقنع، إذ ما هو معيار الخفة والثقل عنده؟ وإذا كنا لا نجد استعمالاً آخر للفتحة في مجال التذكير في العربية، عدا ضمير المخاطب المتصل مرفوعًا كما في: (فعلتَ)، ومنصوبًا كما في: (ضربكَ)، فإن استعمال الكسرة دالاً على التأنيث له شواهد في اللغة، منها استعمال الكسرة في الدلالة على التأنيث في الخطاب المتصل مرفوعًا، كما في: (فعلتِ)، و(تفعلين) و(افعلي)، أو منصوبًا كما في (ضَرَبَكِ)، وكذلك في الضمير المنفصل للغائب (هِيَ). وورود هذه الكسرة –طويلة وقصيرة– في الفعل المضارع والأمر أدى ببعض الدارسين إلى القول: إن هذه الكسرة كانت طويلة (ī)، وكذلك فتحة المذكر (a) أصلها فتحة طويلة (ā)[6]، ومما يؤكد هذا الرأي ورود الصيغتين: (attā) للمذكر،

---

(١) بروكلمان، فقه اللغات السامية ص ٨٦، برجشتراسر، التطور النحوي، ص ٧٦، وهنري فليش العربية الفصحى، ص ١٦٤، ومحمد عبدالله جبر، الضمائر في اللغة العربية ص ٢٨؛

. O'Leary. Comparative Grammar.....,p.142

(٢) رمزي بعلبكي، المقايسة في صيغ الضمائر العربية والسامية ص ٢٦، أما الاتحاد فيهاتين الصيغتين في بعض اللهجات العربية الحديثة فناشئ من المقايسة التامة (المماثلة)، (السابق) أو أنه في بعض الأحيان يهجر المؤنث المفرد كما هو الحال في حضرموت والعربية الأسبانية، أو العكس من ذلك، حيث يحل المؤنث محل المذكر كما في تونس وتلمسان والمغرب ومالطا، انظر :

O'Leary. Comp.Gr. of the Semitic Languages. p. 143.

(٣)ابن يعيش، شرح المفصل، ج٣، ص٩٥.

(٤) سيبوية، الكتاب، ج٤، ص٢٠١.

(٥)ابن يعيش، شرح المفصل، ج٣، ص ٩٥.

(٦) هنري فليش، العربية الفصحى، ص ١٦٣.

و(ʾattī) للمؤنث، في اللغة الأكدية، وقد استمر ورود صيغة المذكر (ʾattā) في العبرية، مع تطور صيغة المؤنث عن طريق التخلص من الصائت الأخير – دال الجنس– اكتفاء بوجود علامة للمذكر (ā)، وبذلك تحولت الصيغة (ʾattī) إلى الصيغة (ʾatt)[1]، فلم ترد الصيغة الأصل في (العهد القديم) إلا سبع مرات فقط[2]. ومما يؤكد ذلك أيضا، أنّ آرامية العهد القديم حافظت على الفتحة الطويلة (ā) كتابة (אַנְתָּה ، ʾantā) مع التخلص منها قراءة (אַנְתְּ ، ʾant)؛ وفي مقابل ذلك حافظت السريانية على الكسرة الطويلة (ī) كتابة (ʾantī ،ܐܢܬܝ) مع التخلص منها قراءة (ʾatt)[3]. مع ملاحظة أن الأكدية، والعبرية، والسريانية، تدغم النون في التاء لسكونها في كل من المذكر والمؤنث، وقد علل محمد عبدالله جبر ذلك بأنه راجع إلى عوامل صوتية خاصة بهذه اللغات[4].

ويمكن تلخيص ما سبق بما يلي:

إن العربية وأخواتها الساميات قامت بصياغة ضمير الخطاب من العنصر الإشاري (-ʾan) مضافا إليه التاء (-t) الدالة على الخطاب والتي ترد في بداية الأفعال المضارعة ونهاية الفعل الماضي، ثم ميزت بين الجنسين عن طريق التخالف في الصوائت، إذ أعطت الصائت (-a) للمذكر والصائت (-i) للمؤنث.

٢- ضميرا المُخَاطَبِيْنَ (أَنْتُمْ ʾantumū) والمُخَاطَبَات (أَنْتُنَّ ʾantunna):

قامت العربية بصياغة ضميري المخاطبين والمخاطبات، بإلصاق أدوات دالة على الجمع بضمائر خطاب المفرد المذكر والمؤنث على السواء. ففي حالة جمع الذكور قامت العربية بإضافة الدوال: (م m) و(و ū) إلى ضمير المخاطب المفرد (أنت ʾanta)، مع ضم

---

(١) رمزي بعلبكي، المقايسة في صيغ الضمائر، ص٢٦، وأنظر محمد عبدالله جبر، الضمائر في اللغة العربية، ص٢٨. وترد الصيغة (אַתִּי ʾattī) في المكتوبات فقط منها (سفر القضاة، الإصحاح١٧، العدد٢ (حيث وردت مرتين) وأيضا في الملوك الأول، الإصحاح ١٤، العدد ٢) ومن الممكن أن تكون من سمات اللهجات العبرية الشمالية.

O'Leary, Comparative Grammar....p 144

(٢) رمزي بعلبكي، المقايسة في صيغ الضمائر.....، ص٢٦.

(٣) السابق، ص٢٦،وأنظر محمد عبدالله جبر، الضمائر في اللغة العربية ص ٢٨.

(٤) محمد عبدالله جبر، الضمائر في اللغة العربية، ص٢٨.

التاء[١]، وقد فسَّر علماء العربية ذلك بأنَّ الميم لمجاوزة الواحد، وأن الواو هي علامة الجمع[٢]، أما ضم التاء فقد فسره سيبويه قائلاً: "**وتُلْزمُ التاءَ والكافَ الضمةَ وتَدعُ الحركتين اللتين كانتا للتذكير والتأنيث في الواحد؛ لأن العلامةَ فيما بعدها والفرقَ، فألزموها حركة لا تزول**"[٣]، وهذا التفسير الذي يقدمه سيبويه غير دقيق؛ لأنه يساوي بين سقوط الفتحة في المذكر وسقوط الكسرة في المؤنث، في حين أن الكسرة باقية في بعض اللغات السامية وبعض اللهجات العربية الحديثة-كما سيرد- مع وجود نون النسوة التي أعتبرها دالاً على الجنس، والرأي الراجح هو أن كلاً من الميم في (أنتمْ antumū)، والنون في(أنتنّ antunna) تسعف في التفرقة بين التذكير والتأنيث "**وإن كنا نرجح كون الضمة والكسرة وحدهما تقومان في الأصل بوظيفة التفرقة هذه كما في الضمائر المفردة**"[٤]، وما يعزز ترجيح هذا الرأي هو أن اللغات السامية تستخدم الصوائت للدلالة على الجنس والتفريق بين المذكر والمؤنث من خلال تخالف هذه الصوائت وتستخدم الصوائت للدلالة على الشخص[٥]، يستثنى من ذلك ضمائر الغياب المتصلة المرفوعة، ألف الاثنين وواو الجماعة. في حين أن الرأي الذي يقدمه خليل يحيي نامي يعد أكثر قبولاً، في تفسير ضم التاء على أساس التجانس والتشاكل- المماثلة- بين الضمة (u) بعد التاء وبين الواو (ū) في آخر الصيغة، وكذلك لوجود التناسب مع حرف الميم(m) باعتباره حرفًا شفويًا[٦]، وهو مايفهم من قول الأستراباذي: "**والميم أقرب الحروف الصحيحة إلى حروف العلة، لغنتها، ولكونها من مخرج الواو، أي شفوية، ولذلك ضم ما قبلها كما يضم ما قبل الواو**"[٧].

---

(١)خليل يحيى نامي، دراسات في اللغة العربية، ص ٩٣.

(٢) ابن يعيش، شرح المفصل ج٣،ص٩٥.

(٣) سيبويه، الكتاب، ج٤، ص ٢٠١، وهناك رأي آخر في تفسير ضم التاء مفاده:" ..... **لأنها لو فتحت أو كسرت لجاز أن يتوهم أنها كلمتان منفصلتان، فاجتلبوا حركة لم تكن في الواحد لتدل على أنها كلمة واحدة، وأجْرَوْا جميع المضمر في التثنية والجمع هذا المجرى**" الأنباري، الإنصاف مسألة ٩٦، ص٦٨٢.وهو رأي بادي الضعف.

(٤) رمزي بعلبكي، المقايسة في صيغ الضمائر العربية والسامية، ص٣٢.

(٥) السابق، ص ٣٢.

(٦) خليل يحيى نامي، دراسات في اللغة العربية ص ٩٣. وانظر ماقاله في ذلك رمزي بعلبكي، المقايسة في صيغ الضمائر العربية السامية، ص ٣١ هامش.

(٧)الأستراباذي، شرح الكافية، ج٢، ص٨. وقريب من هذا قول الأنباري: "**لأنها في التقدير كأنها وليت الواو في: (أنتمو)**. الإنصاف مسألة ٩٦، ص ٦٨٢.

وكما اختلفت الآراء في تفسير وجود الضمة، فقد اختلفت في تفسير الميم،ففي مقابل رأي النحاة العرب القدماء- كما ذكره ابن يعيش- رأى محمد سالم الجرح أنها "**حرف عماد**"(١)، وهو رأي يمكن الاعتراض عليه من حيث أن حرف العماد يُحْذفُ إذا حُذف ما جيء به لأجله، مما يؤدي إلى صعوبة في تفسير وجودها مع سقوط الواو في فصيح الكلام (أنتُمْ، ʾantum)، وقدّم خليل يحيى نامي جملة من الآراء قائلاً: "**لا نجد الميم علامة للجمع في اللغة العربية، بل نجد أنّ الواو هي علامة للجمع في الفعل الماضي: "قاموا"، وفي جمع المذكر السالم مثل: "مسلمون" وفي الفعل المضارع: "يقومون" .. ومن الجائز أن الميم التي في (أنتُم) أنها من العناصر الإشارية، أو من العناصر الأخرى التي زادوها على ضمير جمع المخاطبين والغائبين للدلالة على التذكير، أو على تقوية العناصر التي تكوّن منها الضمير**"(٢).

ويتضح من هذه الآراء أن صاحبها لم يستطع أن يبلور رأيًا خاصًا، وبرغم ذلك يمكن الاعتراض- بالإضافة إلى الاعتراض على اعتبارها للتذكير لما تقدم من أن اللغات السامية تستعمل الصوائت علامة للجنس- على الأساس الذي انطلق منه تأسيسًا لهذه الآراء، وهو أن الميم لا يمكن أن تكون دالاً للعدد (الجمع) في حين أن استعمالها في غير لغة من اللغات السامية(٣) دالاً للعدد (الجمع) ينفي هذا التأسيس ويبطل ما بُنيَ عليه من آراء، فينص أوليري بشكل صريح على أن دلالة الجمع في (أنتُمْ، ʾantum) تتأتى من الميم (m)(٤). لكن رأي أوليري يفرض تساؤلاً مفاده ما قيمة الواو (ū) في نهاية الصيغة؟ لذلك كان محمد عبدالله جبر يميل إلى متابعة آراء القدماء مرتضيًا تفسيرها بأنها لمجاوزة الواحد(٥)، وهو أكثر الآراء السابقة إقناعًا لأنه يمكن فهم ذلك على أن الميم علامة "للجمع العام" أو "المطلق"، ويتم بعد ذلك تخصيص هذا الجمع بدال جمع الذكور (ū)، أو دال التثنية (ā)، ودوال جميع الذكور والتثنية هذه كانت في الأصل ضمائر متصلة تدخل على الأفعال وتدل على الغائب.

---

(١) محمد سالم الجرح، نظرة تحليلية مقارنة على الضمائر العربية، ص٦٠.

(٢) خليل يحيى نامي، دراسات في اللغة العربية ، ص ٩٣-٩٤.

(٣) تجمع الأسماء المذكرة في اللغة العبرية بإضافة الياء والميم على اخرها مثل: נבִיא (نبي) جمعها נבִיאִים (أنبياء) انظر م.س. سيل، القواعد العبرية مع مراعاة لغة التوراة، وانظر رمضان عبد التواب، في قواعد الساميات ص٢٨.

(٤) O'Leary, Comparative Grammar...., p, 142.

(٥) محمد عبدالله جبر ، الضمائر في اللغة العربية، ص٣١.

وتطور هذا الضمير (أنتُمو ʾantum ū) في اتجاهين:

أ- بحذف الصائت الطويل (الواو) (أنتُمْ، ʾantum)، غير أن العربية حافظت على الأصل في الوصل والشعر(١)، ويقول ابن يعيش في ذلك: "**فإن خاطبت جماعة قلت: (أنتُمو)، وإن شئت قلت: (أنتُمْ)، وثبوت الواو هو الأصل..... وحذف الواو تخفيف لثقلها عند أمن اللبس وزوال الإشكال؛ لأنه لا لَبْسَ بالواحد لوجود الميم، ولا لَبْسَ بالتثنية؛ لأن المثنى يلزمه ثبوت الألف**"(٢). وأحيانا لا تحذف الواو كليا بل يكتفى بتقصيرها، وذلك إذا ولي هذا الضمير حرف ساكن، كقوله تعالى: ﴿**ولا تَهِنُوا ولا تَحْزَنُوا وأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ**﴾(٣)، أما إذا وليه حرف متحرك فتحذف الواو كليًا كقوله تعالى: ﴿**فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ**﴾(٤). وهذا الاتجاه هو ما ذهبت إليه العربية العليا (الفصيحة)، إذ نص الأستراباذي على أنه "**إذا لقي ميمَ الجمع ساكنٌ بعدها ضُمت الميمُ ردًا لها إلى أصلها وقد تكسر**"(٥) إذا سبقت بكسر أو ياء في جمع الغائبين.

ب- بحذف الميم والإبقاء على الضمة الطويلة بعدها (الواو)، ويظهر ذلك في هذا الضمير سواء أكانت الهمزة مكسورة (إنتو، ʾintū) أم مفتوحة (أنتو، ʾantū)، وكان هذا الاتجاه ما ذهبت إليه اللهجات العربية الحديثة في سوريا، والعراق، وحوران، وعُمان، ومصر، وصيغة (ntū-na) في المغرب(٦).

أما في جمع الإناث فإن العربية تستعمل الضمير :(أنتُنَّ، ʾantunna)، وعند مقارنة هذا الضمير بضميري المخاطبة والمخاطبين تبرز قضيتان هما:

١- ضم التاء، في مقابل كسرها في ضمير المخاطبة.

٢- تشديد النون، في مقابل عدم تشديدها في الأفعال.

---

(١) O'Leary, Comparative Grammar.... p. 143.

(٢) ابن يعيش، شرح المفصل، ج٣، ص٩٥، وانظر سيبويه الكتاب، ج٤، ص١٩١.

(٣) آل عمران، الآية ١٣٩. وهو ما يفهم من قول سيبوية ج٤، ص ١٩٣-١٩٤.

(٤) آل عمران، الآية ١٤٣.

(٥) الأستراباذي، شرح الكافية، ج ٢ ص٢، وانظر رأيه في كسرها ص١٢.

(٦) O'Leary, Comparative Grammar...., p. 143.

يمكن تفسير وجود الضم (u) بعد التاء في ضمير المخاطبات- مع عدم وجود علة لذلك كالتي مرّت في ضمير المخاطبين- على أنه تمّ قياسًا على ضمير المخاطبين، فالأصل هو الكسرة (*ʾantinna)، ثم قلبت الكسرة ضمةً بتأثير من ضمير المخاطبين، فأصبح الضمير على صيغته المعروفة (أنتُنّ، ʾantunna)، وقد احتفظت بعض اللغات السامية بالأصل كالبابلية، والآشورية، والعبرية، والآرامية، والحبشية[١]، كما احتفظت بالكسرة العديد من اللهجات العربية الحديثة، كما في العراق (ʾinten) وعُمان (nten)[٢]. يضاف إلى ذلك أن الصيغة (ʾinten) تسمع في الأردن وفلسطين. وفي مقابل قياس العربية المؤنث على المذكر، قامت العبرية بقياس المذكر على المؤنث، إذ قلبت الضمة التي في (*ʾantumū) السامية إلى كسرة قياسًا على المؤنث فأصبحت (ʾattem)، مع إدغام النون في التاء[٣]، والتخلص من الضمة الأخيرة.

أما تشديد النون فإن الآراء قد تضاربت في تفسيره، فقدم سيبويه تفسيرين له، نص في الأول على أنه تمّ قياسًا على المذكر؛ إذ أُلحقَ بالضمير (أنت) حرفان، هما الميم والواو جمْعًا، والميم والألف مثنىً، فقال: "**أراهم ضاعفوا النون ههنا كما ألحقوا الألف والواو مع الميم. وقالوا: (ذَهَبْنَ)، لأنك لو ذكّرت لم تُزِدْ إلا حرفًا واحدًا على (فَعَلَ) فلذلك لم يضاعف**"[٤].وقد لقي هذا الرأي قبولاً عند نحاة العربية، لذلك نرى ابن يعيش يفسر تشديد النون على أساسه، قائلاً:"**.... بإزاء الميم والواو في المذكرين، وذلك أن ضمير المؤنث على حسب ضمير المذكر، فإن كانت علامة المذكر حرفًا واحدًا؛ فعلامة المؤنث حرف واحد، وإن كانت علامة المذكر حرفين، كانت علامة المؤنث حرفين**"[٥]. أما الرأي الآخر لسيبويه فكان تفسير النون على أساس كراهية توالي المتحركات في الكلمة الواحدة، فقال:

---

(١) بروكلمان، فقه اللغات السامية، ص ٨٦، وبرجشتراسر، التطور النحوي للغة العربية، ص ٧٨،
O'Leary, Comparatire Grammar...., p 143.
وخليل يحيى نامي، دراسات في اللغة العربية، ص٩٤، ورمزي بعلبكي، المقايسة في صيغ الضمائر العربية والسامية، ص٣١-٣٢.

(٢) O'Leary, Comparative Grammar..... p.143.

(٣) بروكلمان، فقه اللغات السامية، ص ٨٦، ورمزي بعلبكي، المقايسة في صيغ الضمائر العربية والسامية، ص٣٢.

(٤) سيبويه، الكتاب، ج٤، ص٢٠١-٢٠٢.

(٥) ابن يعيش، شرح المفصل، ج٣ ص٨٧.

"ومع هذا أيضًا، أنهم كرهوا أن يتوالى في كلامهم في كلمة واحدة أربع(*) متحركات، أو خمسٌ ليس فيهنّ ساكن، نحو ضَرَبْكُنّ، ويَذْكُنّ، وهي في غير هذا ما قبلها ساكن كالتاء"(١)، وهو رأي على ما يبدو غير صالح لتفسير نون (أنْتُنّ)؛ لأنه لا يمكن أن يتوالى فيها أربعة متحركات، أو حتى ثلاثة، وتبعًا لذلك لا بد من القول بقياس (أنْتُنّ) على(كُنّ) و(هُنّ)، إذا أُخذ بهذا الرأي. غير أن هذا الرأي ربما يساعد في تفسير تشديد النون على أساس وقوع النبر عليها ، إذا فهم على أن توالي المتحركات- المقاطع القصيرة المفتوحة- هو الذي أدى إلى تشديد النون.

ورأي هنري فليش أن تشديد النون هنا كان بسبب تقصير الصائت الطويل قبل النون، إذ يرى أن أصل دال الجنس كان (ā) للمذكر. و(ī) للمؤنث، أي أن أصل (أنْتُنّ) كان- بناء على رأيه، وقياسًا على حديثه عن (*كنّ)، و(*هنّ)- (*أنتينا، *antīnā) "ثم حدث (نموٌ) بتضعيف النون واختصار المصوت الطويل السابق"(٢)، ويفهم من رأي فليش السابق، أن تشديد النون لا يجتمع مع وجود صائت طويل قبله، أو أن تشديد النون كان بسبب تقصير الصائت قبلها.

أما محمد عبدالله جبر فقد فسرّ تشديد النون بسبب النبر الواقع"على المقطع (تُن) ذي الضمة القصيرة مع وجود حركة مخالفة هي الفتحة التالية، بينما لم تحتج اللغات الأخرى إلى التضعيف لوجود الحركة الطويلة بعد التاء"(٣).

فاللغة العربية تميل إلى تشديد الحرف الذي يقع عليه النبر في آخر الكلمة، كما في تشديد قبيلة همْدان لضمائر الغياب المفردة: (هُوّ)، و(هِيّ)(٤)، وتشديد اللهجات العربية الحديثة لضمير الغائبين(هُمّ) الذي يرد في مصر، وطرابلس، والعراق(٥). ويمكن لنا تفسير عدم تشديد

(*) كذا في الكتاب ولم يعلق على ذلك المحقق.

(١) سيبويه، الكتاب، ج٤ص٢٠٢.

(٢) هنري فليش، العربية الفصحى، ص ١٦٥.

(٣) محمد عبدالله جبر، الضمائر في اللغة العربية، ص٣٥.

(٤) الأسراباذي، شرح الكافية، ج٢ ص١١٠؛ ابن يعيش، شرح المفصل، ج٣، ص٩٦ حاشية مشيخة الأزهر، وانظر أيضًا فوزي حسن الشايب، ضمائر الغيبة أصولها وتطورها، ص٢٩.

(٥) O'Leary : Compartive Grammar....p.146.

اللغات السامية الأخرى للنون وفق أحد سببين: إما لأنها تُسْبِقُها بصائت طويل[١]- وفق ما سبق- كما في السريانية: (ʾantēn)، وإما لأنها تتخلص من الصائت بعد النون كليا كما في الحبشية[٢]: (ʾanten)، وكما في العبرية: (ʾatten)، غير أن العبرية تستعمل الصيغة: (ʾattenā) إلى جانب الصيغة السابقة، مما يؤدي إلى تشديد النون أحيانا لتصبح (ʾattennā)[٣].

وأخيرًا، يمكن الميل إلى اعتبار قصر المقطع السابق للنون -بغض النظر عن حركته، أكانت كسرة أم ضمة[٤]-ووجود النبر عليها، عن طريق انفتاحها، هما السبب المباشر في تشديد النون. وهذا التشديد "**ظاهرة لهجية لا تشترك فيها اللغات السامية إلى حد يمكن اعتبار هذا التشديد موجودًا في السامية الأم**"[٥].

٣- خطاب المثنى (أَنْتُما ʾantumā):

تصوغ العربية ضمائر الخطاب الدالة على المثنى عن طريق زيادة ألف بعد الميم التي ترد في جمع الذكور[٦]، في مقابل زيادة الواو في جمع الذكور (ʾantum + ā ← ʾantumā)، هذا وقد "**انفردت العربية بصيغتي التثنية في ضمائر الخطاب والغيبة، فلا نجد ما يقابلهما في اللغات السامية**"[٧]، لذلك فهو "**مشتق من المجموع بإلحاق فتحة ممدودة، وهي علامة التثنية فيها(ā) لا (ay)... ويتضح من ذلك أنه حديث بالنسبة إلى سائر الضمائر**"[٨]. ومما تجب الإشارة إليه، أن العربية لا تحفل بالدلالة على الجنس في ضمائر التثنية، فإذا كانت تثنية المذكر (أَنْتُما)، بزيادة ألف على

---

(١) يلاحظ الاتفاق بين رأي محمد عبدالله جبر ورأي هنري فليش، من حيث علاقة الصائت الطويل قبل النون بتشديدها.

(٢) لكن الحبشية قامت بتشديد الميم في ضمير المخاطبين (ʾantemmu) انظر رمزي بعلبكي، المقايسة في صيغ الضمائر العربية والسامية، ص٣١.

(٣) رمزي بعلبكي، المقايسة في صيغ الضمائر العربية، ص٣١.

(٤) من الملاحظ أن العربية لا تهتم لنوع الصائت قبل النون فقد شددت في: هُنّ، وكُنّ بضم الهاء والكاف، وشددت أيضا في: هِنّ، وكِنّ- إذا سبقا بكسر- مع كسر الهاء والكاف.

(٥) رمزي بعلبكي، المقايسة في صيغ الضمائر العربية والسامية، ص٣١ هامش٦٤.

(٦) هنري فليش، العربية الفصحى، ص١٦٥.

(٧) محمد عبدالله جبر، الضمائر في اللغة العربية، ص٣٠، وانظر بروكلمان،فقه اللغات السامية، ص٨٦.

(٨) برجشتراسر، التطور النحوي للغة العربية، ص٧٨، وانظر بروكلمان فقه اللغات السامية، ص٨٦.

جمع الذكور، فكان الأولى أن تكون صيغة تثنية المؤنث (*أنتُنا antunā*)، غير أن ذلك لم يرد، إما تغليبًا للمذكر على المؤنث، فاستعملت العربية ضمير المذكر دالاً على الإناث، كما يحدث في كثير من اللهجات اليوم، حين تُغلَّبُ (إنتُو)- وهو ضمير للذكور- على الإناث، أو أن العربية قامت بقلب نون (*أنتُنا) إلى ميم بتأثير ضمير المذكر، كما حدث في ضمير جماعة الذكور في الأكدية، إذ قلبت فيها الميم نونا قياسًا على المؤنث.

وقد أشار ابن يعيش إلى إهمال العربية دلالة الجنس في المثنى، فقال:" **ويستوي فيه [أنتما] المذكر والمؤنث، كما يستوي في الظاهر، نحو: الزيدان، والعمران، والهندان، لأن العدة واحدة**"(١)، فهو يرى أن ألف التثنية تزاد على المذكر والمؤنث دون تحديد الجنس، واكتفاءً بدال الجنس في المفرد- لا كما في جمع المذكر السالم، أو في جمع المؤنث السالم، ويظهر هذا السلوك في إسناد الفعل الماضي، نحو: (فَعَلَ)← (فَعَلاَ)، و(فعلَتْ)← (فعلتا)، مما يعني أن العربية قد أبقت على التغير الذي طرأ على حركة التاء في: (أنتُم)، و(أنتُنَ)(٢)ولم تُعِدْهُ إلى أصله في التثنية، أو ربما قُلبتْ كلّ من الفتحة(a) دال المذكر، والكسرة (i) دال المؤنث ضمة بتأثير من الميم لشفويتها- كما سبق- وباعتبار أن الميم لا تحمل دال الجنس. (أنت+(أو ـِ) +م + ا ← أنتُما).

وقد اختلفت وجهات النظر في تفسير انفراد العربية بضمائر المثنى، وتفرعت في اتجاهين هما:

أولاً: القول بأصالة التثنية في اللغات السامية، غير أنها تخلصت منها عدا العربية.

ثانيًا: القول بأن التثنية بدعة ابتدعتها العربية.

ذهب أنصار الرأي الأول إلى "**أن اللغات السامية جميعًا عرفت ضمائر تثنية يومًا ما، كما عرفت تثنية الأسماء الظاهرة، وقد كانت تثنية الضمائر أسرع في الاختفاء.... ومعنى هذا أن اللغة السامية الأم عرفت التثنية في الأسماء الظاهرة والضمائر، وحافظت اللغة**

---

(١) ابن يعيش، شرح المفصل، ج٣، ص٩٥.

(٢) ذكر الأنباري رأيا في هذا المقام قائلاً:" **إنما ضمت التاء في التثنية حملاً على الجمع؛ لأنها في التقدير كأنها وليت الواو في (أنتمو)**" الإنصاف مسألة، ٩٦، ص٦٨٢.

العربية على ذلك لأنها أكثر اللغات السامية محافظة على ملامح الأم المفقودة".[١] لذلك فإن بقاء تثنية الضمائر في اللغة العربية "ليس مقدمة لظاهرة تحاول العربية ابتداعها، وإنما هو بقية لظاهرة تحرص العربية على التمسك بها"[٢].

في حين ذهب أنصار الرأي الثاني- ويمثلهم مجموعة من المستشرقين ومن تابعهم من علماء العربية المحدثين-إلى أن تثنية الضمائر بدعة ابتدعتها العربية؛ لأن "العرب كانوا يستحبون التثنية أكثر من سائر الساميين، ويستعملونها استعمالاً أوسع منهم"[٣].

ولقد لقي الرأي الثاني القبول لدى الدارسين، وحاول محمد عبدالله جبر أن يقدم الأسباب التي تجعله يميل إلى هذا الرأي، ويمكن تلخيصها بمايلي:[٤]

١- التثنية في اللغة ناتجة من تدبر عقلي، ولا يتيسر وجودها إلا بعد زمن من نضج اللغة، فالتفكير في التعبير عن الاثنين لاحق للتعبير عن الجماعة.

٢- إن ما وجد من إشارات دالة على تثنية قلة من الضمائر في الأكدية والأجريتية والمصرية القديمة، توحي بأن ذلك كان بدعة مستحدثة، إذ لم تبلغ أن تكون ضمائر منفصلة بل جميعها للاتصال.

٣- اللغة العربية نفسها تخلو من تثنية ضمير المتكلم.

٤- إهمال العربية الدلالة على الجنس في التثنية، في حين إنها حريصة على إبرازها في المفرد والجمع، هي وأخواتها الساميات.

٥- التعبير في العربية بالأسماء المجموعة عن الاثنين في مثل قوله تعالى: ﴿ **إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا** ﴾ [٥].

---

(١) محمد سالم الجرح، نظرة تحليلية مقارنة على الضمائر العربية، ص٥٩.

(٢) السابق، ص٥٩.

(٣) برجشتراسر، التطور النحوي ص٧٨. وممن تابع هذا الرأي محمد عبدالله جبر، الضمائر في اللغة العربية، ص٣٢، وفوزي حسن الشايب، ضمائر الغيبة أصولها وتطورها ص٣٣.

(٤) محمد عبدالله جبر، الضمائر في اللغة العربية، ص٣٢-٣٣.

(٥) سورة التحريم، الآية ٤.

وهذه الأسباب التي قدمها محمد عبدالله جبر يمكن الرد عليها جميعًا، وتفنيدها كما يلي:

١- أشار إلى أن التثنية ناتجة عن تدبر عقلي ولا يتيسر وجودها إلا بعد زمن من نضج اللغة، وهو كلام صحيح لكنه هنا ينسب "النضج" إلى العربية وينفيه عن غيرها، رغم أن العربية آخر لغة سامية وصلت إلينا مدونة، وهل يتم نضج اللغة إلا من خلال استعمالها لغة للتدوين العلمي الذي كانت الأكدية والآشورية الأسبق إليه.؟

٢- إن ما وجد من إشارات تثنية بعض الضمائر في بعض اللغات السامية، لا يعدُ دليلاً على أن التثنية مستحدثة في العربية، بل ربما كان دليلاً على عكس ذلك، فكيف لصفة تبتدعها لغة ما أن توجد في نصوص لغة أخرى؟ إلا إذا كانتا تنهلان من معين واحد!

٣- وكذلك إن خلو اللغة العربية من تثنية لضمائر المتكلم لا يعد دليلاً ينفي أو يثبت ابتداع العربية لضمائر التثنية.

٤- يرى الناظر إلى ضمائر التثنية أنها جميعًا مصاغة من ضمائر التذكير، بدليل وجود الميم، مما يرجح أنها كانت دالة على المذكر ثم الحقت بها الدلالة على المؤنث، وهو ما يذهب إليه محمد عبدالله جبر نفسه[1]. مما يعني أنها ربما كانت تهتم بالدلالة على الجنس في فترة من فتراتها.

٥- أما تعبير العربية عن الأسماء المثناة بالأسماء المجموعة، فإنه أسلوب عربي مستعمل قديمًا وحديثًا. فإذا كانت العربية تغرم بالتثنية، فلماذا تبقي عليه، بل يشيع الآن في اللهجات العربية، مع الإبقاء على التثنية على الألسن العامية والفصيحة؟!

غير أن تفنيد هذه الأسباب التي ذكرها محمد عبدالله جبر لا يرجّح الرأي القائل بأن تثنية الضمائر كانت سمة من سمات اللغات السامية، بل يسعى فقط إلى توضيح أن هذين الرأيين يمكن أن يصلحا لتفسير هذه الظاهرة. إلى أن يتم ترجيح أحدهما على الآخر بدليل قاطع.

---

(١) محمد عبد الله جبر، الضمائر في اللغة العربية، ص٣١.

-٣-

ضمائر الغياب

تمتاز ضمائر الغياب عن غيرها من الضمائر بوجوب وجود مرجع لها، ويكنى بها عن الأسماء الظاهرة[١]. أما ضمائر التكلم والخطاب فإنها "**تفيد معاني خاصة بها مستقلة، لا يكنى بها عن شيء آخر من الأسماء**"[٢]، ولا تستعمل إلا للعاقل، متكلم أو سامع، إذْ هما ركنان أساسيان في تكوين الحدث الكلامي. وفي مقابل ذلك فإن ضمائر الغياب تصح إحالتها إلى كل غائب عاقل أو غير عاقل، إذ الغائب ليس ركنًا من أركان الحدث الكلامي، مما يجعل ضمائر الغياب تقترب من أسماء الإشارة، فضمير الغائب "**يأتي من ضمير إشاري مُضْعَفٍ**"[٣]، أو هو "**نوع بنفسه بين الضمائر وبين أسماء الإشارة**"[٤].

فهناك فرقان جوهريان بين ضمائر الغياب وغيرها من الضمائر:

أوّلاً: إن الضمائر المنفصلة في الغياب ليست بمركبة من المتصلة ومقطع (أنّ)، مما يجعل اللغة تستعملها دون تغيير -عدا ما يحدث للغائب والغائبة- في حالتي الاتصال والانفصال[٥].

ثانيًا: أنه لا يوجد في الغائب ضمائر متصلة مرفوعة خاصة بالماضي، أما الفتحة في فَعَلَ فما زال أصلها مجهولاً وألف الاثنين، وواو الجماعة، ونون النسوة فهي دوال للتثنية أو الجمع أو التأنيث[٦] "**وليس فيها ضمير**"[٧].

---

(١) برجشتراسر، التطور النحوي، ص ٧٩.

(٢) السابق، ص ٧٩.

(٣) هنري فليش، العربية الفصحى، ص ١٦٤.

(٤) برجشتراسر، التطور النحوي، ص ٨٠.

(٥) السابق، ص ٨٠، وانظر حول المعنى ذاته هنري فليش، العربية الفصحى، ص١٦٣.

(٦) برجشتراسر، التطور النحوي، ص ٨٠-٨١.

(٧) السابق، ص ٨١.

١- ضميرا الغائب (هُوَ، huwa) والغائبة (هِيَ، hiya):

تنازعت المدرستان الكوفية والبصرية الآراء في تأثيل ضميري الغائب والغائبة، فذهب الكوفيون إلى: أن الاسم في (هو) و (هي) **"الهاء وحدها، وإنما زادوا الواو والياء تكثيرًا للاسم كراهية أن يبقى الاسم على حرف واحد"**(١)، أو جيء بهما للإشباع(٢)، أو الصلة(٣)، واحتجوا لذلك بحذفها في بعض أمثلة الشعر كقول العجير السلولي(٤):

فَبَيْنَاهُ يَشْرِي رَحْلَهُ قَالَ قَائِل: لِمَنْ جَمَلٌ رِخْوُ المِلاطِ نجيبُ؟(٥)

وكقول الآخر:

هَلْ تَعْرِفُ الدَّارَ على تبراكا دَارٌ لِسُعْدَى إِذْهِ مِنْ هَوَاكا(٦)

وذهب جمهور البصريين(٧) في مقابل ذلك إلى **"أن الواو والياء أصل"**(٨)؛ **"لأنه ضمير منفصل بنفسه يجري مجرى الظاهر، فلا يكون على حرف واحد"**(٩). وقد بسط صاحب الإنصاف حجج كل من الفريقين، وناقشها، ولا حاجة لإعادتها هنا؛ لأن منهج هذه الدراسة يختلف عن مناهج الطرفين.

أما الدراسات السامية المقارنة فقد خرجت من خلال مقارنة ضمائر الغياب في اللغات السامية -وفق الجدول الآتي- إلى أن اتفاق عدد كبير من اللغات السامية في استخدام الهاء

---

(١) أبو البركات الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف، مسألة ٩٦، ص ٦٨٠.

(٢) الأستراباذي، شرح الكافية، ج٢، ص ١٠.

(٣) الزجاجي، مجالس العلما ، ص ١٠٥، وقد نسب الزجاجي هذا الرأي للفراء، وانظر فوزي الشايب، ضمائر الغيبة، ص ١٥.

(٤) قال البغدادي في الخزانة: "وقال: صاحب العباب: البيت للعجير السلولي ويروى للمخلب الهلالي، وهو موجود في أشعارهما"، ج٥، ص ٢٦٠.

(٥) وهو من شواهد سيبويه (بولاق، ج١، ص ١٣-١٥)، حسب رواية شرح الأعلم الشنتمري، وانظر سيبويه (الكتاب هارون، ج١، ص ٣٢ هامش)، وهو أيضًا من شواهد شرح الكافية، ج٢، ص ١١٠؛ الخزانة، ج٥، ص ٢٥٧؛ الإنصاف، ص ٦٧٨. وهذا البيت لم يشرحه الأعلم في تحصيل عين الذهب من معدن جوهر الأدب في علم مجازات العرب.

(٦) وهو من شواهد سيبويه، ج١، ص ٢٧، هارون، وذكر البغدادي في الخزانة، ج٢، ص ٥-٦ أن هذا البيت من الأبيات الخمسين التي لا يعرف قائلها.

(٧) من البصريين من وافق الكوفيين كالخليل بن أحمد، إذ ذهب إلى أن الواو زائدة علامة للرفع (الخليل، الجمل في النحو، ص ٢٦٦)؛ وكذلك الأخفش الأوسط إذ نص على زيادة الواو (خزانة الأدب، ج٢، ص ٦)؛ وانظر فوزي الشايب، ضمائر الغيبة، ص ١٥.

(٨) أبو البركات الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف، مسألة ٩٦، ص ٦٨١.

(٩) ابن يعيش، شرح المفصل، ج٣، ص ٩٦.

(h) في بداية ضمائر الغياب، ما هو إلا اتفاق حديث قام مقام اختلاف قديم[١]، ولا يظهر هذا الاختلاف إلا في اللهجة المهرية[٢]، ولهجة سوقطرة[٣]، إذ تستعملان: (he أو hi) للغائب، و (se أو si) للغائبة، و (hem) للغائبين و (sen) للغائبات[٤]. أي استعملت الهاء (h) للمذكر واستعملت السين التي تقابل الشين في اللغات السامية الشمالية للمؤنث[٥]، **"ولم يحافظ على الشين لغة من اللغات السامية الشمالية إلا الأكدية، وهذه أشاعتها ونقلتها إلى المذكر أيضًا، بدل الهاء"**[٦].

---

(١) ذهب جورجي زيدان إلى "**أن الهاء هي الأصل في جميع أحوال ضمير الغائب، فقد أُنِّثَتْ بالكسر فصارت (هي)، وجُمعت بالميم أو النون فصارت هم أو هن ... إلخ**". (الفلسفة اللغوية، ص ١١٨).

أما رمزي بعلبكي فقد أشار إلى احتمال تفسير تأرجح اللغات السامية في ضمير الغائب بين الهاء وحرف الصفير (الشين أو السين) إلى أنه ناشئ عن "**إبدالٍ أو تغيير صوتي يطرأ على حرف الصفير في بعض اللغات فيضْعُفُ ويصير هاءً، فالهاء والسين (أو الشين) قد تتبادلان في هذه اللغات كما في وزن أفعل في العربية والحبشية الذي يقابل وزن hiʿīl في العبرية، ووزن Šaʿʿēl في السريانية والأوغاريتية، ووزن sʾʿl في العربية الجنوبية باستثناء السبئية والحضرمية**" (المقايسة في صيغ الضمائر ...، ص ٢٨)، غير أنه يقرُّ بأن هذا الاحتمال "**لا يفسر الصيغتين الأكديتين اللتين تحتفظان بالشين، وأهم من ذلك أنه لا يفسر الاختلاف في المهرية بين صيغة المذكر he وصيغة المؤنث sʾe**". (السابق، ص ٢٨).

(٢) بروكلمان، فقه اللغات السامية، ص ٤٨٦؛ برجشتراسر، التطور النحوي، ص ٤٨٢؛

Moscati: An Introduction to the Comparative Grammar, p. 104 .

(٣) O'leary: Comparative Grammar of the Semitic Language, p. 147

(٤) كما وتستعمل لهجة سوقطرة إضافة إلى ذلك صيغة (yhe) للمفرد المذكر عن طريق إضافة السابقة (y-) للضمير (he). (السابق p. 147).

(٥) برجشتراسر، التطور النحوي، ص ٨٢.

(٦) السابق، ص ٨٢.

ضمائر الغياب في اللغات السامية[١]

	مفرد مذكر	مفرد مؤنث	جمع مذكر	جمع مؤنث	مثنى
العربية الشمالية	huwa	hiya	hum(ū)	hunna	humā
السبئية[٢]	hʾ/hwʾ/hwt	hʾ/hyʾ/hyt	hmw/hmt	–	–
القتبانية[٣]	sˡw/sˡwt	sˡyt	sˡm/sˡmt	–	–
الحبشية[٣]	weʾetu	yeʾeti	weʾetomu	yeʾeton	–
العبرية	הוּא hū	הִיא hī	hem/hemmā	hen/hennā	–
الآرامية	הוּא hū	הִיא hī	himmō(n)	hennēn	–
السريانية	hū	hī	hennōn	hennēn	–
الأكدية	šū	šī	šunu	šina	-

مما يعني أن اللغات السامية استخدمت التفريق في الصوامت في الإشارة إلى الجنس في ضمائر الغياب، إلى جانب استخدامها التفريق في الصوائت أيضًا، إذ "**التمييز بين حركات الضميرين (هُوَ وهِيَ) هو شيء أساسي وأصلي مثل التمييز بين ضمائر المخاطب**"[٣]، وهو منهج مغاير لما اتبعته في ضمائر الخطاب، إذ لجأت إلى التفريق عن طريق الصوائت فقط، وربما كان ذلك تأكيدًا للتفريق في الجنس، لأن معظم لغات البشر في أول نشأتها "**لا تميز في ضمائرها بين المذكر والمؤنث إلا في ضمير الغائب**"[٤]، أي أن التفريق في الجنس كان متأخرًا نسبيًا في ضمائر الخطاب، وأن الاهتمام كان منصبًا على التفريق في الغائب، فاستخدمت اللغات السامية لذلك، التفريق بالصوامت التي تشكل عادة مادة الكلمة، "**ففي**

---

(١) حول الجدول، انظر بروكلمان، فقه اللغات السامية، ص ٨٧؛ رمزي بعلبكي، المقايسة في صيغ الضمائر، ص ٢٧، وص ٣٢-٣٣؛ محمد عبد الله جبر، الضمائر، ص ٤٠-٤٣.

(٢) حول السبئية والقتبانية انظر:

Moscati: An Introduction to the Comparative Grammar. p. 104.

ويميل عدد من اللغات السامية منها الحبشية والسبئية والقتبانية والفينيقية إلى تأكيد "**الضمير بأحد عناصر الإشارة، وهو التاء، وقد اختفت الهاء في الحبشية وتبادلت الحركة مع الواو والياء في (uw) و (iy) الوظيفية ثم صارت: yu > ye؛ كما صارت yi > ye**" بروكلمان فقه االلغات السامية، ص ٨٦.

(٣) فوزي الشايب، ضمائر الغيبة، ص ٢٢.

(٤) جورجي زيدان، الفلسفة اللغوية، ص ١١٥.

الحالات التي يلفت فيها الجنس الحقيقي النظر، ويسترعي الملاحظة حتمًا، تفرق اللغة بين الجنس لا بوسيلة نحوية ولكن بكلمة أخرى من أصل آخر"[١].

وقد طورت اللغات السامية ضمائر الغياب في اتجاهات مختلفة، ففي حين ذهب جمهور اللغات السامية إلى تغليب هاء المذكر على شين أو سين المؤنث[٢]، كما ظهر في العربية والسبئية والعبرية والآرامية والسريانية والفينيقية والأوغاريتية؛ فقد ذهبت الأكدية إلى تغليب شين المؤنث على هاء المذكر، فأصبح ضمير المذكر فيها (šu) [٣] وكذلك فعلت القتبانية[٤]، إذ غلبت سين المؤنث على هاء المذكر فأصبح (s'w أو s'wt).

أي أن هذا التطور قد سار في اتجاهين هما: إما قياس المذكر على المؤنث كما حدث في الأكدية والقتبانية، وإما قياس المؤنث على المذكر كما حدث في باقي اللغات السامية. غير أن ما حدث في اللهجة المهرية ولهجة سوقطرة كان مختلفا، إذ عمدت اللهجتان إلى المحافظة على الأصل السامي الموروث (h) للمذكر و (s) للمؤنث، مع قياس الصائت (u) في المذكر على الصائت (i) في المؤنث، إذ أصبحت (u) ← (i) أو (e) [٥].

وقد ذهب وليم رايت إلى **"أنه من الممكن أن تكون كل من الهاء والشين أو السين متطورة عن أصل إشاري آخر هو (tu) التي يمكن عدها الشكل الأقدم لضمير الغيبة في اللغات السامية، وأن كلاً من (su) و (hu) يمكن أن تُعدُّ إضعافات متتابعة لها"**[٦]، وفي مقابل ذلك ذهب موسكاتي إلى أن الضميرين (hu) للمذكر و (ši) للمؤنث قد تطورا عن أصلين كانت السامية الأولى تستعملهما،وهما: (*huwa)للمذكر ، و (*šiya) للمؤنث، غير أنه نصَّ على أن هذا الفرض يبقى حدسيًا إلى حد كبير[٧].

---

(١) بروكلمان، فقه اللغات السامية، ص ٩٥، وانظر حول ذلك أيضًا فوزي الشايب، ضمائر الغيبة، ص ١٨.

(٢) فوزي الشايب، ضمائر الغيبة، ص ١٨.

(٣) السابق، ص ١٨؛ وانظر Moscati: An Introduction to the Comparative Grammar, p. 104

(٤) Moscati: An Introduction to the Comparative Grammar, p. 104

(٥) رمزي بعلبكي، المقايسة في صيغ الضمائر، ص ٢٨.

(٦) Wright. W. Lectures on the Comparative Grammar. p. 105
والترجمة لفوزي الشايب، ضمائر الغيبة، ص ١٨.

(٧) Moscati: An Introduction to the Comparative Grammar, p. 104-105

كما لاحظ علماء الساميات كتابة ضمير الغائب في عدد من اللغات السامية بالألف في نهاية الصيغة، ويظهر ذلك في العبرية والآرامية[١]، والفينيقية[٢]، وحديثا في مخطوطات البحر الميت[٣]، كما يظهر ذلك في اللغة السبئية[٤]، مما يدل "**على همزة قد سقطت فنستنتج من ذلك أن الأصل كان** (hūʾa) **و** (hīʾa) **أو بالأحرى** (šīʾa)"[٥]، وقد نصّ أوليري على سماع ذلك النطق في العراق (huʾa) للمذكر و (hiʾa) للمؤنث[٦]. وفسّر فوزي الشايب وجود هذه الهمزة بأنه تطعيم أو ترميم الغرض منه "**معالجة الانقراض الصوتي والدلالي للضمائر ومنحها قوامًا أكثر قوة**"[٧]، وقد تمت عملية الترميم أو التطعيم هذه بشكل معاكس لعملية التطعيم لضمائر التكلم والخطاب التي كان التطعيم فيها في بداية الصيغة عن طريق إضافة العنصر (أن)، إذ كانت الزيادة في ضمائر الغياب في آخر الصيغة "(hū) **كسعت بالهمزة** (أ: ʾa) **فصار الضمير** (*hūʾa ← hū+ʾa)، **والمؤنث** (*šīʾa ← šī+ʾa)"[٨]، ثم تابعت هذه الضمائر تطورها عن طريق القياس، إما على المؤنث، كما حدث في الأكدية والقتبانية، أو عن طريق القياس على المذكر كما حدث في باقي اللغات السامية ومنها العربية، إذ أُبدلت شين المؤنث هاءً فأصبح الضميران (*hūʾa هُوء) للمذكر و (*hīʾa *هِيء) للمؤنث[٩].

وقد اختلفت الآراء في تفسير تطور كل من (*hūʾa) و (*hīʾa) إلى (huwa) و (hiya) في العربية، فذهب برجشتراسر إلى "**أن الهمزة حذفت في العربية، وأبدلت واوًا في المذكر، وياءً في المؤنث**"[١٠]، وكذلك نجد صدى لهذا الرأي عند خليل يحيى نامي إذ يقول:

---

(١) برجشتراسر، التطور النحوي، ص ٨٢.

(٢) محمد مصطفى، لغة النقوش الفينيقية، ص ١٩٦-١٩٧ (رسالة ماجستير).

(٣) Moscati, An Introduction to the Comparative Grammar, p. 105

(٤) غويدي، المختصر في علم اللغة العربية الجنوبية القديمة، القاهرة، ١٩٣٠، ص ٤-٥، عن (محمد عبد الله جبر، الضمائر في اللغة العربية، ص ٣٧، ٤٠.

(٥) برجشتراسر، التطور النحوي، ص ٨٢.

(٦) O`leary: Comparative Grammar of the semitic Languagea, p. 145

(٧) فوزي الشايب، ضمائر الغيبة، ص ١٩.

(٨) السابق، ص ١٩.

(٩) ذهب بعض علماء الساميات إلى أن هذه الهمزة (الألف) ما هي إلا علامة إملائية، كالألف الفارقة التي تلحق بآخر الفعل المسند إلى واو الجماعة في العربية، (السابق، ص ٢٠).

(١٠) برجشتراسر، التطور النحوي، ص ٨٢.

"**وقلبت الهمزة بعد ذلك واوًا**"[1]، وقد ردّ فوزي الشايب رأي برجشتراسر قائلاً: "**إن مبدأ الإبدال مرفوض البتة بين الهمزة وأشباه الحركات إذ لا يوجد بين الهمزة وهذين الصوتين أي تقارب في المخارج ولا في الصفات حتى يصح معه القول بالإبدال**"[2]؛ وقد فسّر ذلك على أنه سقوط للهمزة تخفيفا مما أدى إلى تتابع حركتين مختلفتين تتابعًا مباشرا (hua*) و (hia*) وهو ما يعرف في الدراسة الصوتية بـ (hiatus) وهو وضع ترفضه اللغات السامية، وتلجأ إلى التخلص منه عن طريق الانزلاق الحركي الذي يؤدي عادة إلى تولد شبه حركة موافق للحركة الأقوى في التتابع الحركي، وهي هنا الضمة (u) والكسرة (i) في مقابل الفتحة (a)، أي تخلق الواو في حالة الانزلاق من الضمة إلى الفتحة في المذكر، وتخلّق الياء في حالة الانزلاق من الكسرة إلى الفتحة في المؤنث[3]، وفق الآتي:

هُوَ huwa *hu-a

بالانزلاق ←

هي hiya *hi-a

---

(١) خليل يحيى نامي، دراسات في اللغة العربية، ص ٩٩.

(٢) فوزي الشايب، ضمائر الغيبة، ص ٢٢؛ وهو ما يصلح للرد على رأي خليل يحيى نامي.

(٣) السابق، ص ٢١-٢٢. سبق محمد عبد الله جبر وألمح إلى ما ذكره الشايب هنا فقال: "... **وقبول هذا الفرض يسهل وجود الواو المفتوحة في الضمير العربي (هو) بإسقاط الهمزة، وهذا ينتج انتقالاً من ضمة الهاء إلى فتحة الهمزة فيظهر حرف اللين الواو محركًا بالفتح**" (الضمائر، ص ٣٨) غير أنه يضطرب في تفسير وجود الياء، إذ يقول في حديثه عن ضمير الغائبة: "**وما قيل عن الهمز المفترض في نهاية الضمير والذي يبدو في الصيغة السبئية وتسهيله وإبدال حرف لين به يصدق هنا أيضًا**" (الضمائر، ص ٤٠)، وهو ما يشير إلى عدم وضوح الرؤيا عنده في تفسير وجود الواو والياء، مما يعطي رأي الشايب التقدم عليه.

وهناك اراء أخرى حاولت أن تفسر وجود الواو لكنها أقل أهمية، منها: ما جاء به محمد سالم الجرح من أن الواو والياء، ما هما إلا تحويل للضمة الطويلة التي هي عنده مد اضطراري، أو تحويل للكسرة الطويلة التي هي عنده مكيف ضميري دال التأنيث. (نظرة تحليلية مقارنة على الضمائر، ص ٦١-٦٢). وما ذكره رمزي بعلبكي من أن الواو والياء قد يكونان لمجانسة الصائت قبلهما (المقايسة في صيغ الضمائر، ص ٣٢ هامش).

وخرج الشايب من ذلك بأن الواو والياء، ما هي إلا انزلاقات حركية[١]، مما جعله يصحح ما ذهب إليه الكوفيون[٢]، مع الخلاف في تفسير وجود الواو.

غير أن الشايب لم يفسر كيف تم تقصير الحركة الطويلة في (*hūʾa) و (*hīʾa)، ويمكن ترجيح تقصير هذه الحركة قبل إسقاط الهمزة لا بعده، اعتمادًا على ما ذكره أوليري من سماع الضميرين مهموزين في العراق بحركة قصيرة (huʾa) و (hiʾa)[٣]. أي يمكن إعادة تنظيم تطور هذين الضميرين في العربية وفق الآتي:

*hūʾa	huʾa	*hu-a	هُو huwa
بتقصير الحركة ←	بإسقاط الهمزة ←		بالانزلاق الحركي ←
*hīʾa	hiʾa	*hi-a	هِي hiya

تطور ضميري الغائب والغائبة في العربية:

وقد تابع هذان الضميران تطورهما في اتجاهين أساسين[٤] هما:

١- عن طريق تنمية الحركة بعد الهاء.

٢- عن طريق تنمية (تشديد) شبه الحركة.

لقد فرضت ضرورة الوقوف بالسكون في العربية إسقاط حركة كل من الواو والياء مما أدى إلى تكون مزدوج هابط مرفوض عربيًا[٥]، وهو تتابع الضمة والواو في مقطع واحد في (huwa ←في الوقف← *huw)، وكذلك تتابع الكسرة والياء في مقطع واحد في (hyia ←في الوقف← *hiy)، فتلجأ اللغة العربية إلى المخالفة بين عنصري المزدوج عن طريق حذف شبه الحركة والتعويض عن ذلك بمد الحركة السابقة مما يؤدي إلى نشوء الصيغتين (hū) و (hī)، وهو ما يسمى عند النحاة بلغة الإسكان[٦]، وقد مالت بعض القبائل العربية إلى الإكثار

---

(١) فوزي الشايب، ضمائر الغيبة، ص ٢٢.

(٢) السابق، ص ١٥.

(٣) O'leary: Comparative Grammar of the Semitic Languages, p. 145.

(٤) انظر حول ذلك وما يتبع، فوزي الشايب، ضمائر الغيبة، ص ٢٣ وما بعدها.

(٥) السابق، ص ٢٣.

(٦) انظر ابن يعيش، شرح المفصل، ج٣، ص ٩٦-٩٧، وانظر الأستراباذي، شرح الكافية، ج٢، ص ١٠.

من هذا الاستخدام في غير الوقف[١]، "**حكى الكسائي عن بني أسد وتميم وقيس**[٢]:**هُوْ فعل ذلك، بإسكان الواو؛ وأنشد لعَبيد:**

وَرَكْضُكَ لَوْلا هُو لَقِيتَ الَّذي لَقُوا فَأَصْبَحْتَ قد جَاوَزْتَ قَوْمًا أعاديا"[٣].

وقد علّق ابن جني على لغة الإسكان قائلاً: "**وهي لغة معروفة**"[٤].

وكذلك استمر التطور في الصيغتين (hū) و (hī) إذ لجأت اللغة العربية إلى تقصير الصائت الطويل[٥]، فأصبح الضميران،(hu)، و (hi)، (هُ) و (هـ). وهو ما عبر عنه النحاة بالحذف، وقال الكسائي، تعقيبًا على الإسكان عند أسد وقيس وتميم: "**بعضهم يُلقي الواو من (هُو) إذا كان قبلها ألف ساكنة، فيقول: (حَتَّاهُ فَعَلَ ذلك)، و(إنّماهُ فَعَلَ ذلك)**"[٦]، وقال الكسائي: "**لم أسمعهم يلقون الواو والياء عند غير الألف**"[٧]، غير أن الكسائي ينفرد بهذا التقييد، فلم "**يقيد الجوهري حذف الواو من (هُوَ) بقوله إذا كان قبلها ألف ساكنة، بل قال: وربما حذفت من هو الواو في ضرورة الشعر**"[٨]، وهو أيضًا ما نجده عند الأستراباذي إذ قال: "**وقد تحذف الواو والياء اضطرارًا**"[٩]. غير أن المثال المستشهد به على الحذف بعد غير الألف[١٠]، وهو قول الشاعر:

دَار لسُعْدَى إذه منْ هواكا[١١]

---

(١) فوزي الشايب، ضمائر الغيبة، ص ٢٤.

(٢) نسب الأستراباذي لغة الإسكان لقيس وأسد دون تميم، (شرح الكافية)، ج٢، ص ١٠.

(٣) ابن منظور ، لسان العرب، ج١٥، ص ٤٧٦، (ها).

(٤) ابن جني، الخصائص، ج١، ص ٩٠؛ غير أن ابن يعيش قال: "**وهي أضعف لغاتها**"، شرح المفصل، ج٣، ص ٩٨.

(٥) فوزي الشايب، ضمائر الغيبة، ص ٢٤-٢٥.

(٦) ابن منظور ، لسان العرب، ج ١٥، ص ٤٧٦ (ها).

(٧) السابق، ج١٥، ص ٤٧٧، (ها).

(٨) السابق، ج١٥، ص ٤٧٦ (ها).

(٩) الأستراباذي، شرح الكافية، ج٢، ص ١٠

(١٠) تكثر الشواهد على حذفها بعد الألف، انظر الإنصاف، مسألة ٩٦؛ ابن يعيش، شرح المفصل، ج٣، ص ٩٦-٩٧؛ فوزي الشايب، ضمائر الغيبة، ص ٢٥؛ وانظر قول العجير السلولي في بداية الحديث عن ضمائر الغياب من هذه الدراسة. ص ٤٢ .

(١١) وهو من شواهد سيبويه، ج١، ص ٢٧؛ وذكر البغدادي في الخزانة، ج٢، ص ٥-٦ أن هذا البيت من الأبيات الخمسين التي لا يعرف قائلها.

يبقى بيتًا يتيمًا في هذا الباب: فأكثر ما أثرت هذه الظاهرة بعد الألف[1]، وفي ضمير المذكر دون المؤنث، ولم يعترف النحاة بهذه الظاهرة، وعدّوها ضرورة من ضرورات الشعر، فقال ابن يعيش: "**وليس في ذلك حجة لأن ذلك من ضرورات الشعر**"[2]، وقد علّق فوزي الشايب على ذلك قائلاً: "**والذي يظهر لنا أن النحاة إنما رفضوا الاعتراف بهذه اللهجة التي تنسب إلى بني أسد، فعدوها ضرورة، وزادوا على ذلك فوصفوها بأنها قبيحة، لأنهم كانوا لا يثقون بكل ما يأتي عن هؤلاء الناس من ظواهر لهجية، مصداق ذلك قول أبي حاتم: "لبني أسد في اللغة مناكير لا يؤخذ بها**" [3]".

وأدرك النحاة أن حذف الواو والياء متطور عن لغة الإسكان، قال ابن يعيش: "**ينبغي أن يكون الحذف في قوله (إذهِ من هواكا) على لغة من أسكن لضعفها، إذ المفتوحة قد قويت بالحركة**"[4]، وخالفهم في ذلك أبو البركات الأنباري فذهب إلى "**أن الواو حذفت متحركة**"[5]، وهو غير صحيح[6].

ووقفت العربية أحيانًا على هذين الضميرين بهاء السكت، قال سيبويه: "**وقالوا: هِيَهْ، وهم يريدون هِيَ، شبّهوها بياء بَعْدِي. وقالوا: هُوَه، لمّا كانت الواو لا تَصَرَّفُ للإعراب كرهوا أن يلزموا الإسكان في الوقف فجعلوها بمنزلة الياء**"[7]، وهاء السكت في الحقيقة ما هي إلا مبالغة في نطق الفتحة بيانًا[8] لها، وهو ما يُفهم من كلام سيبويه وهذه المبالغة أحيانًا تنحو نحو الهاء، وأحيانًا أخرى تنحو نحو الألف[9] بسبب من إطالة نطق الفتحة، بينما ذهب فوزي الشايب إلى أن هاء السكت "**وسيلة لإقفال المقاطع القصيرة التي لا تسمح العربية**

---

(١) فوزي الشايب، ضمائر الغيبة، ص ٢٧.

(٢) ابن يعيش، شرح المفصل، ج٣، ص ٩٧.

(٣) فوزي الشايب، ضمائر الغيبة، ص ٢٦.

(٤) ابن يعيش، شرح المفصل، ج٣، ص ٩٨. وانظر قول ابن جني في الخصائص:"إنما كان قوله (إذه) على لغة من أسكن الياء لا على لغة من حركها"، ج١، ص٩٠.

(٥) البغدادي، خزانة الأدب، ج٥، ص ٢٥٧، وهو منقول عن الإنصاف مسألة ٧٠، ص ٥١٣، غير أن نص الخزانة أكثر وضوحًا من نص الإنصاف المطبوع.

(٦) فوزي الشايب، ضمائر الغيبة، ص ٢٦.

(٧) سيبويه، الكتاب، ج٤، ص ١٦٣.

(٨) السابق، ج٤، ص ١٦٣.

(٩) السابق، ج٤، ص ١٦٣-١٦٤.

بالوقوف عليها البتة"[1] غير أن الاستعمال اللغوي لا يشهد بنطق هاء خالصة بل ربما كان ما ينطق صويتا بين الهاء والفتحة.

فأصبح الضميران مع هاء السكت: (huwah) و (hiyah) [2]، ومن أبرز الشواهد على ذلك قوله تعالى: ﴿**وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ**﴾[3] فالقرّاء "**كلهم يقفون عليها بالهاء إن وقفوا اتباعًا للمصحف، فإذا أدرجوا اختلفوا ... ومن حذفها في الدرج وهو الاختيار عند النحويين قال: إنما هذه الهاء للوقف، فمتى وصلتُ حَذفتُ**"[4].

أما في حال الوصل فقد مالت اللغة إلى تشديد شبه الحركة (الواو والياء)، فأصبح الضميران (huwwa) و (hiyya). (هُوَّ) و (هِيَّ) ونسب النحاة هذه الظاهرة إلى قبيلة هَمْدان[5]، وذكر لتمان أن هذا الاستعمال -بتشديد الواو والياء- "**أقرب إلى الأصل (هُوَ) و (هِيَ) من الصيغة الفصيحة**"[6]، وهو رأي يقترب من رأي الكسائي الذي ذهب فيه إلى أن "(هُوَ) **أصله أن يكون على ثلاثة أحرف مثل (أنت)، فيقال: هُوَّ فَعَلَ ذلك، قال: ومن العرب من يخففه فيقول: هُوَ فَعَلَ ذلك**"[7]. وهذان الرأيان لا يمكن الركون إليهما؛ لما تقدم من تفسير تكوُّن الضميرين، ولأن رأي الكسائي ينبني على أسس معيارية محضة[8]، وعلل ابن يعيش هذه الظاهرة "**لكراهية وقوع الواو طرفًا وقبلها ضمة**"[9]، كذلك الياء .وفسّر الشايب هذه الظاهرة نافيًا ما ذهب إليه الكسائي وابن يعيش، مؤكدًا أنها "**نزعة عربية قديمة إلى إغلاق المقاطع المفتوحة قصيرة كانت أم طويلة**"[10]. وهو رأي غير مطرد ولا يفسر أحوالاً أخرى شبيهة كتشديد نون النسوة في الضمائر العربية، لذلك فإن التفسير الذي يبدو

---

(١) فوزي الشايب، ضمائر الغيبة، ص ٢٨.

(٢) ربما كانت الكتابة الأصوب هي (huwaℵ) و (hiyaℵ) لأن هذه الهاء ربما كانت صويتًا بين الهاء (h) والفتحة (a).

(٣) سورة القارعة، الآية (١٠).

(٤) ابن خالوية، إعراب ثلاثين سورة من القران، ص ١٦٤.

(٥) الأستراباذي، شرح الكافية، ج٢، ص ١٠، وانظر الخزانة، ج٥، ص ٢٦٦؛ وتسمع هذه الصيغ في مصر أنو لتمان، بقايا اللهجات العربية، ص ٣٩ ومحمد عبد الله جبر، الضمائر، ص ٣٩)، كما وتسمع في الأردن وفلسطين وسوريا ولبنان والسودان والعراق والمغرب (الشايب، ضمائر الغيبة، ص ٣١).

(٦) أنو لتمان، بقايا اللهجات العربية، ص ٣٩.

(٧) ابن منظور، لسان العرب، ج ١٥، ص ٤٧٩ (ها).

(٨) فوزي الشايب، ضمائر الغيبة، ص ٢٩.

(٩) ابن يعيش، شرح المفصل، ج٣، ص ٩٧.

(١٠) فوزي الشايب، ضمائر الغيبة، ص ٣٠.

أكثر قبولاً، هو تفسير ذلك بسبب النبر[١]، فاللغة العربية تميل إلى تشديد الحرف الأخير، إذا سبق بمقطع منبور، وإذا انتهت الكلمة بمقطع قصير مفتوح، وخصوصًا إذا كانت حركة المقطع الأخير فتحة (a). ففي الضميرين (huwa) و (hiya) يقع النبر على المقطع الأول، يقول بروكلمان: "**إذ لم يكن في الكلمة مقطع طويل، فإنَّ النبر يقع على المقطع الأول منها**"[٢] مما يؤدي إلى تشديد الحرف الثاني فيهما، (w و y). فتنشأ الصيغتان (huwwa)، و (hiyya)، كما يمكن تفسير تشديد العديد من الكلمات العربية[٣] وفق هذا النهج مثل: لثة ← لثَّة، وشفة ← شفَّة، وحَافة ← حَافَّة، فجميع هذه الكلمات ختمت بمقطع قصير، سبق بمقطع منبور، إذ لا تُنطق التاء هاءً بل فتحة قصيرة.

ومن أبرز الشواهد التي سيقت على هذا الاستعمال قول الشاعر:

وَإنّ لساني شُهْدَةٌ يُشْتَفَى بها ... وَهُوَّ عَلَى من صَبَّهُ اللهُ عَلْقَمُ[٤]

وقول الآخر:

والنفسُ ما أُمرتْ بالعُنْفِ آبية ... وهيَّ إنْ أُمرتْ باللُّطْفِ تأْتمرُ[٥]

وربما أمالت بعض اللهجات العربية الحديثة في بلاد الشام، الحركة الأخيرة من (هُوَّ)، و(هيَّ)، فتصبحان (huwwe)، و (hiyye).

وكذلك ربما تأثر هذان الضميران (هُوَ)، و(هِيَ) بما يسبقهما من أدوات أو حروف، خصوصًا إذا كانت مما يصبح كالجزء من الكلمة، قال ابن يعيش: "**فإن دخلت على كل واحدة منهما واو العطف، أو فاؤه، أو لام الابتداء، كنتَ مخيرًا، إن شئت أسكنتَ الهاء،**

---

(١) انظر تفسير تشديد نون (أنتنّ) في ضمائر الخطاب في هذه الدراسة.

(٢) بروكلمان، فقه اللغات السامية، ص ٤٥.

(٣) أما الكلمات مثل قَدُوم ← قدّوم، وخرافات ← خرّافات، و خُراج ← خُرّاج، فيمكن تفسير ذلك وفق قانون سامي عمل في العبرية والآرامية، إذ "**غالبًا ما يوجد تضعيف ثانوي كذلك، بعد حركة قصيرة وقبل مقطع منبور**" (بروكلمان، فقه اللغات السامية، ص ٤٤)، ومعروف أن النبر في هذه الكلمات يقع على المقاطع الطويلة (السابق، ص ٤٥).

(٤) انظر ابن يعيش، شرح المفصل، ج٣، ص ٩٦، والأستراباذي، شرح الكافية، ج٢، ص ١٠؛ والبغدادي، خزانة الأدب، ج٥، ص ٢٦٦؛ وفي الخزانة (يهتدى بها). والبيت غير منسوب.

(٥) انظر البغدادي، خزانة الأدب، ج٥، ص ٢٦٦؛ وحاشية مشيخة الأزهر على شرح المفصل، ج٣، ص ٩٧ هامش، والبيت غير منسوب.

وإن شئتَ أبقيت[١] الحركة، فمن أبقى[٢] الحركة فعلى الأصل، ومن أسكن؛ فلأن الحرف الذي قبلها لما كان على حرف واحد لا يقوم بنفسه صار بمنزلة جزء منه ... ولا يفعلون ذلك مع (ثم) ونحوها مما هو على أكثر من حرف واحد إلا على ندرة"[٣].

وقد فسر الشايب هذا الإسكان في (wahwa، وهْو)، وفي (wahya وهْي) على أنه للتخلص من تتابع المقاطع القصيرة[٤]، وكذلك أشار إلى إمكان تفسير ذلك بناء على النبر[٥] اعتمادًا على ما ذكره بروكلمان[٦] من أن العربية تحذف الضمة غير المنبورة قبل الواو، والكسرة غير المنبورة قبل الياء. يقول بروكلمان: "**المقاطع البنائية**[٧] **التي تزاد في أول الكلمة، تجذب النبر إليها ... ويؤثر هذا النبر في المقطع الذي يليه مباشرة، فتسقط منه الحركة القصيرة**"[٨]، أي أن النبر نُقل من الهاء إلى هذه الحروف[٩]. فسقطت حركتها وفق الآتي:

wa+huwa	←	wahuwa
	بعد انتقال النبر إلى الواو	
wa+hiya	←	wahiya
		wahya

(١) في شرح المفصل، خطأ في الطباعة إذ سقطت الهمزة منهما.

(٢) في شرح المفصل، خطأ في الطباعة إذ سقطت الهمزة منهما.

(٣)ابن يعيش، شرح المفصل، ج٣، ص٩٨.

(٤) فوزي الشايب، ضمائر الغيبة، ص ٣١.

(٥) السابق، وانظر رمضان عبد التواب، التطور اللغوي، ص ٩٠.

(٦) بروكلمان، فقه اللغات السامية، ص ٧٩؛ وانظر قول رمضان عبد التواب: "**يُؤثِّر وجود النبر أحيانًا، في سقوط الحركات من المقاطع التالية للنبر، فقد دلت الملاحظة مثلاً، على أنه إذا توالى في اللغات السامية، مقطعان قصيران، أولهما منبور، فإن حركة المقطع الثاني تسقط في الكلام؛ ففي العربية مثلاً يقال كثيرًا: (وَهْوَ) بدلاً من (وَهُوَ)**"، التطور اللغوي، ص ٩٠.

(٧) اعتمادًا على الامتزاج النطقي الذي يحدث بين هذه الحروف وهذه الضمائر، ويصدق ذلك بشكل أكبر على حروف المضارعة.

(٨) بروكلمان، فقه اللغات السامية، ص ٤٥.

(٩) فوزي الشايب، ضمائر الغيبة، ص ٣٢.

٢- ضميرا الغائبين (هُمُ، humū) والغائبات (هُنَّ، hunna):

صاغت السامية الأولى ضميري الغائبين والغائبات، وفق ما فعلت في الخطاب، فأضافت اللاحقة (-mū) في حال جمع الذكور، واللاحقة (-na) في حال جمع الإناث، وأضافت السامية الأولى هذه اللواحق، التي اندمجت فيها دلالة الجنس مع دلالة العدد[١]، إلى ضميري الغائب والغائبة قبل ترميمها بالمقطع (ʾa)، أي إلى (hū)، و (hī) المتطورة عن (sī)، فتكون بذلك الأصلان المفترضان لضميري الغائبين والغائبات[٢]:

*hūmū hū + mū

←

*hīnā hī + nā

وقد تطور هذان الأصلان في العربية بتقصير الصائت الأول (ū و ī)؛ لأن العربية لا تستحب المقاطع الطويلة المتتابعة، وتحاول التخلص منها عن طريق تقصيرها[٣]، فأصبحت صيغة المذكر (humū، هُمُو)[٤]، وهي اللغة الفصيحة والأصل عند النحاة[٥]، ثم استمرت العربية في التخفيف، فتخلصت كليًا من الحركة الطويلة في آخر الضمير (ū، الواو) "**فرارًا من ثقلها**"[٦]، فأصبح الضمير بعد ذلك (hum، هُمْ)، غير أن الضمير إذا تلي بساكن فإن العربية تكتفي بتقصير الحركة الطويلة (الواو)، لا حذفها، فيصبح الضمير وصلاً: (humu، هُمُ).

أما ضمير الغائبات فعمدت العربية إلى تشديد النون بعد أن قُصّرت الحركتان الطويلتان: الأولى (ī) للتخلص من تتابع المقاطع الطويلة المفتوحة[٧]، والثانية (ā) تخفيفا،

---

(١) هنري فليش، العربية الفصحى، ص ١٦٥.

(٢) ذهب رمزي بعلبكي إلى أن الأصل المفترض في السامية الأم هو (humu*) و (šina*) منتهيين بصائت قصير (المقايسة في ضيغ الضمائر، ص ٣٣).

(٣) فوزي الشايب، ضمائر الغيبة، ص ٢٧.

(٤) ذهب فوزي الشايب إلى أن تقصير الحركة الأولى في (hūmū*) حدث أولاً، في حين ذهب في ضمير جماعة الإناث إلى تقصير الحركة الأخيرة أولاً (hīnā*) (السابق، ص ٣٥؛ وكان الأولى أن يفسر الحالتين تفسيرًا واحدًا.

(٥) سيبويه، الكتاب، ج٤، ص ١٩٣-١٩٤؛ وانظر ابن يعيش، شرح المفصل، ج٣، ص ٩٧.

(٦) ابن يعيش، شرح المفصل، ج٣، ص ٩٧.

(٧) أشار هنري فليش (نقلاً عن بروكلمان) إلى وجود علاقة بين تشديد النون في (هُنَّ) وقصر الصائت (i)، فقال: "**ثم حدث نموٌ بتضعيف النون واختصار المصوت الطويل السابق**" (العربية الفصحى، ص ١٦٥). وهو ما يفهم منه مرافقه تشديد النون لقصر الصائت السابق لها، غير أن فوزي الشايب ذهب إلى أن تشديد النون كان تعويضًا عن تقصير الصائت (ī)، فقال: "ثم **تطور**=

ويمكن تفسير تشديد النون على أنه كان بسبب ميل العربية لتشديد الحرف الأخير إذا سبق بمقطع منبور[١]، خصوصًا إذا كان الحرف الأخير متلوًا بفتحة، وفي هذا تفسير عدم تشديد ميم (هُمْ) أو (هُمُو) في العربية، غير أن بعض اللهجات العربية في مصر وطرابلس (ليبيا) والعراق وسوريا[٢]، شددت ميم (humma) قياسًا على المؤنث مع تحريكها بالفتح، وربما أمالت بعض هذه اللهجات هذا الفتح (humme).

٣- ضمير مثنى الغائب:

سبقت الإشارة إلى أن ضمائر التثنية مشتقة من ضمائر جمع الذكور[٣]، وهو مما انفردت به العربية عن غيرها من اللغات السامية[٤]، فصاغته العربية بإضافة ألف (ā) علامة للتثنية[٥] على ميم الجمع التي تشير إلى الجمع المطلق أو مجاوزة الواحد[٦]، وربما كانت ضمائر التثنية في العربية دالة على المذكر أولاً ثم أُشْرِكَ فيها المؤنث[٧].

hum ā ← hum + ā هما.

=**هذا الضمير عن طريق اختزال حركة الهاء هذه المرة والتعويض عنها بمد النون**" (ضمائر الغيبة، ص ٣٥). وهو رأي وإن كان يبدو مفسرًا لتشديد نون (هُنّ) فإنه لا يفسر تشيد النون في (أَنْتُنّ) وفي (-كُنّ)، وكذلك لا يفسر عدم تشديد الميم في (هُمْ).

(١) أما في الآرامية (himmō) و (innīn)، والسريانية (hennōn) و (hennīn)، والعبرية (hemmā) و (hennā)، فإن هذه اللغات تشترط وجودة النبر بعد الحرف المشدد، لا قبله كما فعلت العربية، يقول بروكلمان: "**وفي العبرية والآرامية، غالبًا ما يوجد تضعيف ثانوي كذلك، بعد حركة قصيرة وقبل مقطع منبور**" (فقه اللغات السامية، ص ٤٤)، وهو ما يفسر محافظة هذه اللغات على الحركة الأخيرة طويلة مع تشديد النون أو الميم.

(٢) O'leary: comparative Grammar of the Semitic Language, p. 146

(٣) انظر الحديث عن التثنية في ضمائر الخطاب فيما سبق من هذ الدراسة.

(٤) برجشتراسر، التطور النحوي، ص ٧٨.

(٥) السابق، ص ٧٨.

(٦) ابن يعيش، شرح المفصل، ج٣، ص ٩٥.

(٧) محمد عبد الله جبر، الضمائر، ص ٤١.

الفصل الثاني

ضمائر النصب والجر

- ١ -

ضمائر النصب والجر المتصلة

استعملت اللغة العربية واللغات السامية صيغًا موحدةً من الضمائر في حالتي النصب والجر، في مقابل حالة الرفع التي استقلت بصيغ خاصة بها، وهذا الاتفاق نجده مطردًا في اللغات السامية جميعًا[١] عدا حالة واحدة لجأت فيها إلى التفريق بين حالتي النصب والجر، وهي الصيغة الخاصة بالمتكلم المفرد. مما يعني أن هذا التفريق يرتقي إلى السامية الأم[٢].

أ- ضمائر التكلم

١- ضمير التكلم المفرد (ي ـِ-، يَ -ya، ني -nī، نِيَ -niya):

أ- ضمير المتكلم في حالة الجر:

استعملت العربية صيغتين لهذا الضمير هما: (ـِ-)، و(-ya)[٣]، ولا تظهر الصيغة الأخيرة إلا في الشعر أو الوصل[٤] وتظهر مترافقة مع الحركة القصيرة (i) قبلها، أي أن الصيغة التي ترد في الوصل أو الشعر هي(-iya)[٥].

وقد اختُلف في تفسير أي الصيغتين أقدم، أهي (ـِ-)، أم (-ya)؟ فلعلماء الساميات في ذلك ثلاثة آراء هي[٦]:

١- أن تكون الصيغة(ـِ-)هي الأصل السامي الأقدم، وهذا الرأي يفرض أن تكون الصيغة الأخرى (-ya) متطورة عنها، قياسًا على صيغة المخاطب المفرد

---

(١) يستثنى من ذلك الأكدية التي تفرق بين ضمائر الجر المتصلة بالاسماء وضمائر النصب المتصلة بالافعال (انظر رمزي بعلبكي، المقايسة في صيغ الضمائر، ص٣٤؛ وبروكلمان، فقه اللغات السامية، ص٨٧)

(٢) انظر جدول الضمائر في Moscati: An Intrduction. to the Comparative Grammar p.106.

(٣) المرجعان السابقان؛ وبروكلمان، فقه اللغات السامية، ص ٨٧؛ وأنظر:
O'Leary: Comparative Grammar of the semitic long.p.149.

(٤) O'Leary: Comparative Grammar of the semitic long.p.149.

(٥) السابق (p. 149).

(٦) رمزي بعلبكي، المقايسة في صيغ الضمائر، ص ٣٥.

(-ka)[1]، عن طريق إضافة الصائت (a) إلى هذه الصيغة: (a)+(ī) ← (*-īa) مما يؤدي إلى تتابع حركي مرفوض (Hiatus) في اللغات السامية، فيؤدي ذلك بدوره إلى انزلاق حركي ينشأ عنه شبه حركة موافق للحركة الأقوى (ī)، أي يؤدي إلى نشوء الياء فتصبح الصيغة (*-īya) التي تتحول إلى (-iya) بتقصير الصائت. ويؤيد هذا الرأي أن الاستعمال الغالب في الأكدية والعمورية (Amorite) هو (-ī)[2]، وكذلك مقارنة هذا الضمير بنظيره في اللغات القريبة من اللغات السامية.[3]

٢-أن الصيغة (-ya) هي الأصل السامي الأقدم، ونشأت الصيغة الأخرى (-ī) بسبب نوع من النبر[4]، وهو رأي بروكلمان، بينما ذهب أوليري إلى أن الصيغة (-iya) هي الأصل وأشار بشكل غير مباشر إلى أن (-ī) هي تطور للصيغة (-iy) التي هي تطور للصيغة الأصل[5]. أما موسكاتي فقد فسّر هذا الافتراض، بأن الأصل السامي القديم (-ya) تطور إلى (-ī) عن طريق سقوط الحركة المتطرفة (a)، ثم تبع ذلك تحول شبه الحركة (y) إلى حركة مناسبة (ī)[6]. وعلل رمزي بعلبكي تحويل (y) إلى (i) "**بأن القواعد الصوتية في اللغات السامية لا تقبل بتوالي الصوامت في آخر الكلمة على النحو الذي في** (*ra⊃sy)"[7]، والصواب ما ذهب إليه أوليري في ذلك، إذ يمكن تفسير ذلك صوتيًا على أنه بسبب المخالفة بين عنصري المزدوج الهابط (-iy) بإسقاط شبه الحركة(y) والتعويض عن ذلك بمد الحركة(i).

---

(١) Moscati: An Intrito the Comparative Grammar p. 108.

(٢) السابق p. 108.

(٣) رمزي بعلبكي، المقايسة في صيغ الضمائر، ص٣٥، وانظر:
O'Leary: Comparative Grammar of the semitic Languages, p.150.

(٤) بروكلمان، فقه اللغات السامية، ص٨٨.

(٥) O'Leary: Comparative Grammar of the semitic Languages, p.149.

(٦) Moscati: An Intr. to the Comparative Grammar p. 108.

(٧) رمزي بعلبكي، المقايسة في صيغ الضمائر، ص٣٥.

ومما يؤيد هذا الفرض" أن العنصر (-ya) أصيل في كثير من المواضع في هذه اللغات"[١].

٣- القول بأصالة كل من (-i) و (-ya) ويستمد هذا الرأي قوته من احتفاظ لغات سامية عدة بالصيغتين، كالعربية والأكدية والفينيقية والأوغاريتية، وكذلك فإن انقلاب أحدى الصيغتين عن الأخرى في لغة واحدة قد يفسر على أنه تطور خاص بها، أما انقلابها في غير لغة واحدة فيشير إلى أن وجودهما يرجع في الغالب إلى السامية الأم[٢].

أما دلالة هذه الياء فيفهم من كلام بارت في (أني) ضمير المتكلم المنفصل أن الياء ربما كانت مستعملة كعنصر إشاري للمتكلم فيما قبل التاريخ[٣].

---

(١)السابق، ص ٣٥.

(٢) السابق، ص ٣٥.

(٣) السيد يعقوب بكر ، دراسات في فقه اللغة، ص٤٦.

حالات ضمير المتكلم المجرور في العربية:

تختلف صيغة هذا الضمير وفق الكلمة التي يُلحق بها، وفق الآتي:

١- تُستعمل الصيغة (ya-) إذا أضيفت إلى كلمة منتهية بحركة طويلة[١]، وفي هذه الحالة تحافظ العربية على طول الصائت السابق للياء، وتحافظ أيضًا على فتحها[٢]، إذا كان منتهيًا بألف نحو (عصا← عصاي) غير أن بعض العرب ربما قلبوا الألف ياءً للمماثلة مع الياء، ونسب ابن الحاجب والرضي هذه اللغة لهذيل[٣]، ومنه قول أبي ذؤيب الهذلي:

سَبَقُوا هويّ وأعْنَقُوا لِهواهُمْ فتُخرّمُوا ولكلّ جنْبٍ مصْرَعُ[٤]

---

(١) O'Leary: Comparative Grammar of the semitic Languages,p.149.

ويستثنى من ذلك اتصال هذا الضمير بالأسماء الستة- عدا ، ذو، إذ لا يضاف إلى مضمر (ابن يعيش، شرح المفصل ج٣، ص٣٦)- إذ عمدت العربية إلى الإبقاء عليها محذوفة اللام، كما لو لم تضف (السابق) أي أن العربية لجأت إلى حذف الحركة الطويلة في اخر هذه الأسماء، فلا تظهر إلا بهذا الشكل (ʾabī) (O'Leary. p. 149). غير أن بعض اللهجات العربية قديمة وحديثة حافظت على الأصل وهو إبقاء الحركة الطويلة، فقد أجاز المبرد (ابن يعيش ، شرح المفصل ج٣ ص٣٦) والفراء (مجالس ثعلب، ج ٢ ص٤٧٦) رد اللام عند الإضافة إلى المتكلم، ومنه قول مؤرج السلمي (الخزانة، ج٤، ص ٤٦٧):

قدرٌ أحلّك ذا المجاز وقد أرى وأبيّ مالك ذو المجاز بذار

وتفسير ذلك: أنه أبقى على الحركة الطويلة قبل الياء (ya-) ثم قُصرتْ هذه الحركة وأقفل المقطع عوضا عن ذلك، وتم ذلك وفق الآتي:

ʾabī + ya (في حالة الجر بالقسم) ← *ʾabiya ← ʾabiyya

وقلبت العربية الحركتين (الواو والألف) الأخريين ياء(ī) مماثلة مع الياء في غير (فو)، إذ سمعت فاي (الرضي، شرح الكافية ج١، ص٢٩٥). وربما كان ذلك من تغليب حالة النصب فأجرتها اللغة مجرى عصاي، أو لانفراد بنائها على حرف واحد. ومما يعزز ذلك أن بعض اللهجات الحديثة حافظت أيضا على الأصل في مثل: (أبُوي، ʾabūya) في العراق والبتراء ومصر، و(أبُويْ، ʾabūy) في حضرموت، و(بُويا būya) في المغرب، و(أبُوي ʾabūyi) في سوريا وعُمان. O'Leary.p.149. وقد أثبتها بالحركة القصيرة (u) وربما كان ذلك خطأً طباعيا، إذ لا يُسمع ذلك إلا بحركة طويلة).

(٢) ابن يعيش، شرح المفصل، ج٣، ص٣٢-٣٣. والأستراباذي، شرح الكافية، ج١، ص٢٩٤.

(٣)الأستراباذي، شرح الكافية، ج١، ص ٢٩٣.

(٤) ابن يعيش، شرح المفصل، ج٣، ص٣٣.

والأصل (هوا ي) فقلب الألف ياءً لمماثلة ياء المتكلم، يقول ابن يعيش: "**وله وجه صالح في القياس**"[١] وتفسير ذلك صوتيًا:

(hawāya) بالمماثلة ← (* hawīya) بتقصير المقطع الطويل المفتوح والتعويض عن ذلك بتشديد الياء hawiyya.

وهذا الإبدال الذي عُرف عند هذيل لم يجر على ألف التثنية حرصا على الدلالة الإعرابية[٢].

أما إذا سبقت بضمة طويلة أو كسرة طويلة، فإن منهج العربية مماثلة الضمة الطويلة مع الياء، ثم تقصير المقطع الطويل المفتوح والتعويض عن ذلك بتشديد الياء، وفق الآتي:

مُسْلِمُو + ي ← * مُسْلُمُويَ بالمماثلة * مُسْلِمِيي بتقصير المقطع الطويل مُسْلِمِيَ

muslimū + ya ← * maslimūya بالمماثلة * muslimīya بتقصير المقطع الطويل muslimiyya

ولم تجزْ العربية في هذه الحالات جميعًا إسكان الياء، سواء أبقيت الحركة الطويلة- كما في عصاي- أم قلبت إلى ياء وأدغمت في ياء المتكلم، يقول الرضي: "**إذا كان قبل ياء الضمير ألف أو ياء أو واو ساكنة فلا يجوز فيها السكون**"[٣]. وذلك لأنّ إسكان الياء يؤدي إلى محذور صوتي هو تكون المقطع (ص ح ح ص) مع الألف، والمقطع (ص ح ص ص) مع الواو والياء، وهذان المقطعان ترفضهما العربية إلا في الوقف[٤]. غير أنه أثر عن نافع أنه قرأ ﴿**مَحْيَايْ وَمَمَاتِيْ**﴾[٥]، وقد خرجها ابن يعيش على "**اعتقاد الوقف**"[٦]، وهذه القراءة عند النحاة ضعيفة[٧].

---

(١) ابن يعيش، شرح المفصل، ج٣ص٣٣.

(٢) السابق، ج٣، ص٣٤. والأستراباذي، شرح الكافية، ج١، ص٢٩٤.

(٣) الأستراباذي، شرح الكافية، ج١، ص٢٩٤.

(٤) عبد الصبور شاهين، المنهج الصوتي للبنية العربية، ص٣٩.

(٥) سورة الأنعام، الآية ١٦٢.

(٦) ابن يعيش، شرح المفصل، ج ٣ ص ٣٤.

(٧) الأستراباذي، شرح الكافية ج١، ص٢٩٥، وانظر السابق.

وكما لم تجز العربيـة الإسكان لم تجز كذلك الحذف، يقول سيبويه: "وأما في (هذا قاضيَ)، و (هذان غلاماي)، و(رأيتُ غلاميَ) فلا تُحذف؛ لأنها لا تشبه ياء (هذا القاضِي) لأن ما قبلها ساكن ولأنها متحركة..... ولا تُحذف في النداء إذا وصلت، كما قلت: يا غلام أقبل"(١).

وفي هذا كله احتفظت العربية بالحركة الأصلية (a) بعد الياء(٢)، غير أن بني يربوع كانوا يكسرون ياء المتكلم(٣)، ومن ذلك قراءة حمزة والأعمش(٤): ﴿وَمَا أَنتُمْ بِمُصْرِخِيِّ﴾(٥) وينكر الفراء والزجاج وغيرهما هذه القراءة(٦)، ومن هذه اللغة، قول الأغلب العجلي:

قال لها: هلْ لك يَاتَا فِيّ قالتْ لهُ: ما أنْت بالْمرْضِيّ(٧)

وربما كان تفسير هذه اللغة بسبب من إمالة الفتحة نحو الياء لمجاورتها ياء مشدّدة، وقريب منه ما يسمع اليوم في بعض الأقطار العربية، إذ تسمع ياء المتكلم (-ye) بعد حركة طويلة في كل من مصر وسوريا وفلسطين والعراق(٨).

٢- أما إذا سبق الضمير بصامت أو حركة قصيرة؛ فإنه يظهر بالصيغة (-iya) أحيانا (-iy*) التي تتحول بدورها إلى (-ī) التي تتحول في النداء إلى (-i)(٩).

يقول الزمخشري: "وما أضيف إلى ياء المتكلم فحكمه الكسر، نحو قولك في الصحيح والجاري مجراه(١٠)؛ غُلامِيَ، ودَلْوِيَ"(١١)، "وإنما لزم ما قبل ياء المتكلم الكسر دون الضم والفتح ليناسبه"(١٢)، ويجوز في هذه الياء الفتح (-iya) ، أو السكون

---

(١) سيبويه، الكتاب، ج٤، ص١٨٧.

(٢) انظر حول أصالة الفتحة قول ابن يعيش، شرح المفصل، ج٣، ص٣٣.

(٣) الأستراباذي، شرح الكافية، ج١، ص٢٩٥.

(٤) السابق، وابن يعيش، شرح المفصل، ج٣، ص٣٦، البغدادي، الخزانة، ج٤، ص٤٣١.

(٥) سورة إبراهيم، الآية ٢٢.

(٦) البغدادي، الخزانة، ج٤ ص٤٣١ وما بعدها.

(٧) السابق ج٤ ص٤٣٣.

(٨) O'Leary: Comparative Grammar of the semitic Languages, p. 149.

(٩) السابق p. 149.

(١٠) يقصد ما انتهى بشبه حركة.

(١١) ابن يعيش، شرح المفصل، ج٣، ص٣١.

(١٢) الأستراباذي، شرح الكافية، ج١، ص ٢٩٣.

(ـِـ)[1]. وقد نص الرضي على "**أن إسكان ياء المتكلم أكثر استعمالاً، إذا لم يُلزم اجتماع الساكنين**"[2]، أما المقارنة السامية فتدلُّ على أن "**النطقين أصليان فالفتح موجود في الحبشية والأكدية، وعدم التحريك في العبرية والآرامية، وقد جمعت العربية بين النطقين**"[3].

تطور ضمير المتكلم المجرور:

طوّرت العربية هذا الضمير في حالة الوقف في اتجاهين أساسيين، بعد أن أشاعت كلا الصيغتين (ya-)، (ـِـ) (في حالة الوصل، وهذان الاتجاهان هما:

١ – تطور الصيغة (ya-) :

أ– بالمحافظة على فتح الضمير، إما بإطلاق الألف– أحيانًا– في نهايات القوافي[4]، وقد تساوى في هذا الاستعمال من فتح أو أسكن وصلاً. ومن ذلك[5] قول مالك بن الريب المازني[6]:

دعاني الهوَى من أهْل أوْدَ وصُحْبَتي بذي الطَّبْسَين فالتفتُ ورائيا.[7]

وقول سوّار بن المُضرّب:

أيرْجُو بَنُو مرْوَانَ سَمْعِي وَطَاعَتي وقَوْمي تَميمٌ والفَلاةُ ورَائيا[8]

وإما بالوقف عليه بهاء السكت شعرًا ونثرًا، وكذلك فقد تساوى في هذا الاستعمال من فتح أو أسكن وصلاً، يقول سيبويه:" ... **وذلك قولك: هذا غُلامِيَهْ، وَجَاءَ بَعْدِيَهْ، وإنَّهُ**

---

(١) السابق.ج١، ص٢٩٤.

(٢) السابق، ج١، ص١٤٧.

(٣) محمد عبدالله جبر، الضمائر في اللغة العربية، ص٨٣ (عن بروكلمان).

(٤) السابق، ص ٨٣.

(٥) لمزيد من الشواهد انظر خليل عماير ه وزميله، فهارس لسان العرب قافية (يا).

(٦) انظر حول نسبته لمازن تميم، ابن قتيبة، الشعر والشعراء ص٢٢١.

(٧) ابن منظور، لسان العرب، ج٦، ص١٢١ (طبس).

(٨) السابق ج١٥، ص٣٩٠ (وري).

ضَرَبَنِيَهْ كرهوا أن يسكنوها [الياء] إذ لم تكن حرف الإعراب وكانت خفية فبينوها"[1]، ومن أمثلة ذلك[2] قول الشاعر:

يـــا ابْـــنَ أَبـــي، ويَا بُنَي أُمَـــيَهْ أَوْدَعَتْكَ اللّهَ الّذي هُوَ حَسْبِيَهْ[3].

وقول سُحَيْم بن وثيل اليرْبُوعي:

وَاضْطَرَبَ القومُ اضطرَابَ الأرشيَهْ هناكَ أَوْصَيْنِي ولا تُوصي بيَهْ[4]

ب- الوقف عليه بالسكون، أي بالحركة الطويلة (آ-)، يقول سيبويه: "وأما مَنْ رأى أن يُسكّن الياء فإنه لا يلحق الهاء، لأن ذلك أمرها في الوصل، فلم يُحذف منها في الوقف شيءٌ"[5].

وقد مُنِعَ الحذف في هذه اللغة في الوقف، قال سيبويه : "ومن قال: هذا غلامِيَ، فاعْلَمْ، وأنِّيَ ذَاهِبٌ، لم يحذف في الوقف.... ولكنها تحذف في النداء لأنك إذا وصلت في النداء حذفتها"[6].

ومنه قول امرىء القيس :

فإمّا تَرَيني في رِحَالَةِ جَابِرٍ عَلَى حَرَجٍ كَالقَرِّ تَخْفِقُ أَكْفَانِي[7].

٢- تطور الصيغة (آ-):

عمدت العربية إلى تقصير هذه الصيغة إلى (ا-)، وهو مايسمى عند النحاة بالحذف وإبقاء الكسرة دليلاً عليها[8]، وأكثر مايرد ذلك في النداء وربما ورد في الندرة في غير النداء، لكن "في الفواصل والقوافي ليس بنادر طلبًا للازدواج"[9]، بل ربما حذفت

---

(١) سيبويه، الكتاب، ج٦، ص١٦٣.

(٢) لمزيد من الشواهد انظر خليل عمايره وزميله، فهارس لسان العرب قافيه (يهْ).

(٣) ابن منظور، لسان العرب، ج٨، ص٣٨٦ (ودع).

(٤) السابق، ج١٥، ص٣٠٨ (نجا).

(٥)سيبويه، الكتاب، ج٤، ص١٦٣.

(٦) السابق، ج٤، ص١٨٧.

(٧) البغدادي، الخزانة، ج١، ص٣٣٣.

(٨) ابن يعيش، شرح المفصل ج٢، ص١١.

(٩) الأستراباذي، شرح الكافية ج١، ص١٤٨.

العربية الياء كليًا وقد نص سيبويه على جوازه قائلا: "**وذلك قولك: هذا غلامُ، وأنت تريد غلامي**"[١]، غير أنه نص على أن "**ترك الحذف أقيس**"[٢]، وذهب السيرافي إلى عدم جوازه ، فقال : "**فإذا حُذفت هي والكسرة لم يجز؛ لأنه لادلالة عليها في وقف، ولا وصل**"[٣]، غير أن ذلك ورد كثيرًا في القرآن الكريم في غير النداء كما ذكر الرضي[٤]في رؤوس الآي[٥]، كقوله تعالى: ﴿**فَكَيْفَ كَانَ عِقَابْ**﴾[٦].

ضمير المتكلم المجرور في حالة النداء:

لما كان استعمال العربية لياء المتكلم ساكنة (أ) أكثر شيوعا؛ فإن ذلك قد تطور في النداء بتقصير الحركة الطويلة[٧]، وهو ماعبر عنه النحاة بحذف الياء والاكتفاء منها بالكسرة[٨]، وهي اللغة الأكثر استعمالا -إذا لم تسبق الياء بحركة طويلة- مما جعل ابن يعيش يصفها بالأجود[٩]، كقوله تعالى: ﴿**يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ**﴾[١٠] غير أن الرضي قيد هذا الحذف بالاسم الذي اشتهر بالإضافة إلى ياء المتكلم، فلا يقال: (يا عدو)[١١]. وربما أُسْكنتْ الياء وقفا ووصلا كقراءة أبي عمرو بن العلاء: ﴿**يَا عِبَادِيْ فَاتَّقُونِ**﴾[١٢].

وكقول عبدالله بن عبد الأعلى القرشي:

وكُنْت إذْ كُنْت إلهي وحْدكا لمْ يكُ شيْءٌ يا إلهيْ قبْلكا[١٣]

---

(١) سيبويه، الكتاب، ج٤، ص١٨٦.

(٢) السابق، ج٤، ص ١٨٦.

(٣) السابق ج٤ ص١٨٧ حاشية المحقق.

(٤) الأستراباذي، شرح الكافية، ج١، ص١٤٨.

(٥) محمد عبدالله جبر ، الضمائر في اللغة العربية، ص٨٥.

(٦) سورة الرعد، الاية ٣٢.

(٧) سيبويه، الكتاب، ج٢، ص٢٠٩. وعبارة الكتاب: (اعلم أن ياء الإضافة لا تثبت مع النداء)

(٨) ابن يعيش، شرح المفصل، ج٢، ص١١.

(٩) السابق، ج٢، ص ١١.

(١٠) سورة الزمر، الاية ١٦، وانظر السابق، ج٢، ص ١١.

(١١) الأستراباذي، شرح الكافية، ج١، ص١٤٧ .

(١٢) سورة الزمر، الأية ١٦، وانظر ابن يعيش، شرح المفصّل، ج٢، ص ١١.

(١٣)سيبويه، الكتاب، ج٢، ص٢١٠.

وربما بُولغ في نطق الفتحة مما يؤدي إلى استبدال الألف بالياء- حسب رأي القدماء- كقولنا وصلا: (يا غُلاما لا تفْعَلْ)[١] وكذلك قيده الرضي بالاسم الذي اشتهر بالإضافة إلى ياء المتكلم، فلا يقال: (يا عدوًا)[٢]. ويمكن أن يفسر ذلك بأنه بسبب مماثلة الكسرة قبل الياء مع فتحة الياء، ثم اسقاط الياء لوقوعها بين حركتين متماثلتين، والتعويض عن ذلك بإدماج الحركتين، كما حدث في (باع).

ـي	*ـي	ـا
بمماثلة الكسرة مع الفتحة ←	باسقاط الياء ←	
-iya	*-aya	-ā

وقد أُثرتْ هذه الظاهرة عند طيّئ في غير النداء، بقلب الياء المفتوحة والمكسور ما قبلها ألفا[٣]. فإذا وُقف في هذه اللغة جيء بهاء السكت اقفالاً للمقطع الطويل المفتوح. فيقال: (يا غُلاماهْ)[٤].

وربما أجرت العربية المنادى المضاف إلى ياء المتكلم مجرى المرخم[٥]، كما في يا أمَ، وربما كان منْ ذلك ما أُثر من قراءة شاذة[٦] في ﴿**يَا رَبِّ احْكُم**﴾[٧] على لغة من لا ينتظر الحرف في المرخم.

وخصت العربية ضمير المتكلم بإضافة العنصر الإشاري (t) [٨]، إذا أُضيف إلى كلمة أب أو أم، وقد عدها نحاة العربية علامة للتأنيث[٩] توهما، لانفتاح ما قبلها، ومما يدفع كونها

---

(١) السابق، ج٢، ص ٢١٠.

(٢) الأستراباذي، شرح الكافية، ج١ ، ص١٤٧.

(٣) ابن يعيش، شرح المفصل، ج٢، ص١١.

(٤) سيبويه، الكتاب، ج٢، ص٢١٠.

(٥) السابق، ج٢، ص٢١٣. ويمكن حمل ما سمع من (يا أبهْ ويا أمّهْ) على المرخم أيضا باقفال المقطع القصير المفتوح بالهاء.

(٦) الأستراباذي، شرح الكافية، ج١ ص١٤٨، وقد سُمع عن العرب قولهم: يا ربُّ اغفر لي، ويا قومْ لا تفعلوا (سيبويه، الكتاب ج٢ص ٢٠٩ عن يونس، وانظر أيضا ابن يعيش، شرح المفصل ج٢، ص١٢.)

(٧) سورة الأنبياء، الآية ١١٢.

(٨) O`Leary: Comparative Grammar of the semitic Languages. p. 150.

(٩) وهو قول الخليل، انظر سيبويه، الكتاب، ج٢ ص ٢١١-٢١٢.

للتأنيث اختصاصها بهذين الاسمين فقط، وكذلك دخولها على مؤنث أصلاً وهي كلمة أم. وربما كان يحمل هذا العنصر الإشاري جانبا انفعاليًا أو عاطفيا، (يفيد التحبب أو التعظيم).

ب- ضمير المتكلم في حالة النصب:

كذلك استعلمت العربية صيغتين لهذا الضمير[١] هما (-nī)، (-niya) ولم ترد الصيغة الأخيرة إلا في الوصل والشعر[٢] نادرًا[٣]، وتتفق هذه الياء في نهاية الضمير مع ضمير المتكلم المجرور من حيث الأصل والتطور، غير أن علماء الساميات اختلفوا في تحديد هوية النون فلهم في ذلك آراء أشهرها:

١- رأى بروكلمان أن الصيغة (-ni) نشأت من الصيغة (-ī) التي ترد متصلة بالأسماء بزيادة النون منعًا لالتقاء حركتين، وهو ما يسمى (Hiatus)[٤]، وهو ما أخذ به هنري فليش[٥]. ويمكن الاعتراض على هذا الرأي، بقولنا: لم لمْ تُزد النون في (عصاي)؟ التي حلت فيها المشكلة باستخدام الصيغة الأصل (-ya). ولم زيدت في (ضربتني darabatnī)؟ ويمكن القول: أن هذا التفسير الصوتي لوجود النون يقترب من رأي القدماء الذين ذهبوا إلى أن النون تمنع تحرك الحرف السابق للياء[٦] وكذلك تمنع الكسر من دخول الأفعال[٧].

٢- ومال رايت إلى اعتبار النون علمًا للمفعولية[٨]، غير أنه **"لم يذكر إن كانت النون في الأصل علمَ المفعولية أم أنها صارت كذلك لاتصالها بالصائت (-ī)**

---

(١) O'Leary: Comparative Grammar of the semitic Lang. p. 150.

وانظر رمزي بعلبكي، المقايسة في صيغ الضمائر، ص٣٦.

(٢) المرجعان السابقان.

(٣) برجشتراسر، التطور النحوي، ص٧٨.

(٤) بروكلمان، فقه اللغات السامية، ص٨٨.

(٥) هنري فليش، العربية الفصحى، ص١٦٣.

(٦) وهو رأي الخليل انظر سيبويه، الكتاب، ج٢، ص ٣٧٠.

(٧) وهو رأي جمهور النحاة، انظر ابن يعيش، شرح المفصل ج٣، ص ٨٩.

(٨) O'Leary: Comparative Grammar of the semitic Languages, p. 150.

بعدها"[١]، فإن كانت علمًا للمفعولية بنفسها فلماذا لم تدخل غير المتكلم، وإن كانت علمًا للمفعولية بسبب الياء لزم أن تكون لها دلالة غير المفعولية لوجود الياء.[٢].

٣- أما موسكاتي فقد ذهب إلى القول بأن النون قد زيدت قياسًا على ضمير الجمع(نا)[٣].

٤- وذهب محمد سالم الجرح إلى أن هذه النون ما هي إلا حرف عماد قبل العنصر الجوهري لضمير المتكلم[٤].

٥- أما محمد عبدالله جبر فقد رأى أن الصيغة (ni-) مختصرة من صيغة الضمير المنفصل[٥]، ومما يعزز هذا الرأي، ورود ضمير المتكلم المنفصل في عدد من اللغات السامية كالعبرية، وكذلك في بعض اللهجات العربية منتهيا بكسرة طويلة (ʾanī).

وتذهب هذه الدراسة إلى ما ذهب إليه محمد عبدالله جبر وتضيف أن صيغة الضمير المجرور ما هي إلا تطور أو إضعاف لضمير النصب، أما عدم ظهور النون متصلة مع الأسماء في اللغات السامية جميعًا، إلا في النادر جدًا، فربما كان تفسيره، أن السامية الأم قد اسقطت النون في حال الإضافة إلى الأسماء وتبعتها في ذلك اللغات السامية، ومما يعزز هذا الفرض سقوط النون مع الأفعال في كل من التجرينية والأمهرية[٦] ، وكذلك دخولها في غير الأفعال كالمصدر في العبرية[٧] واسم الفاعل في العربية كقول الشاعر :

ألا فتىً منْ بني ذُبْيانَ يحْمِلُني ... وليْس حاملني إلاّ ابْنُ حمّال[٨]

وكذلك دخولها على عدد من حروف الجر والظروف، الذي ربما كان راسبا ساميا قديمًا، ويعزز ذلك دخولها في اللهجات العربية على أسماء صريحة كدخولها في تونس

---

(١) رمزي بعلبكي، المقايسة في صيغ الضمائر ، ص٣٧.

(٢) السابق، ص ٣٧.

(٣) Moscati: An Introduction to the Comparative Grammar ,p. 108-109.

(٤) محمد سالم الجرح، نظرة تحليلية مقارنة على الضمائر العربية، ص٦٦.

(٥) محمد عبدالله جبر ، الضمائر في اللغة العربية، ص٧٤.

(٦) O'Leary: Comparative. Grammar of the Semitic Languages, p. 151.

(٧) السابق، p. 151.

(٨) البغدادي، الخزانة ج٤ ص٢٦٥، وانظر الأنباري، الإنصاف مسألة ١٥ ج١ ص١٢٩.

والعراق على كلمة (بَعْدْ ba$^{\subset}$d) [وهو ما يسمع أيضًا في الأردن في قولهم بَعْدني]، وكذلك دخولها على كلمة (اسم) في العراق (semnī)، وفي طرابلس (ليبيا) (smāni) وفي تلمسان(semnī)[1]. غير أن هذا الفرض يبقى متكئًا على الحدس إلى حد كبير إذا لم يعزز بدليل قاطع.

تطور ضمير المتكلم المنصوب:

حافظت العربية على النون في حالة النصب فلم تحذفها إلا في القليل النادر، غير أنها تصرفت كثيرًا في الياء، وفق ما حدث في ضمير المتكلم المجرور[2]، فوقفت عليه بالألف في القوافي، كقول أبي العاصية السلمي:

فلوْ أنَّ دَاءَ الياسِ بي فأعانَني طَبيبٌ بأرْواحِ العَقيقِ شفانيا[3]

وكذلك وقفتْ عليه بهاء السكت فيما رواه سيبويه: "**إنَّهُ ضَرَ بَنِيَهْ**"[4]وكذلك وقفتْ عليه بالإسكان كقول طَهْمَان بن عمرو:

وماؤُكُما العَذبُ الّذي لو شَربتُهُ وبي نافضُ الحُمّى، إذا لشفاني[5]

وقد منع سيبويه الحذف عند من وصل بالفتح[6]، وجوّزه عند من وصل بالسكون، كقراءة أبي عمرو بن العلاء[7] ﴿**فَيَقُولُ رَبِّيْ اكْرَمَنْ**﴾[8]. و﴿**رَبِّيْ أَهَانَنْ**﴾[9] ومنه أيضًا قول الأعشى:

فَهَلْ يَمْنَعْني ارْتيادي البلا دِ منْ حَذَرِ الموْتِ أنْ يأْتينْ

---

(١) O'Leary: Comparative Grammar of the semitic Languages, p. 151

(٢) انظر هذه الدراسة ص ٦٣.

(٣) ابن منظور، لسان العرب، ج٦، ص٢٦٢ (يوس).

(٤) سيبويه، الكتاب، ج٤، ص١٦٣.

(٥) ابن منظور، لسان العرب، ج١١، ص٤٠٧(طلل).

(٦) سيبويه، الكتاب، ج٤، ص١٨٧.

(٧) السابق، ج٤، ص١٨٦.

(٨) سورة الفجر،الآية ١٥.

(٩) سورة الفجر، الآية ١٦.

وَمِنْ شَانِيءِ كَاسِفٍ وَجْهُهُ إِذَا مَا انْتَسَبْتَ لَهُ أَنْكَرَنْ[١]

٢- ضمير جماعة المتكلم (نا، nā-):

استعملت العربية هذا الضمير بصيغة واحدة، هي (nā-)، في حالاته الإعرابية الثلاث: الرفع، والنصب، والجر. وهي ظاهرة سامية مشتركة في هذا الضمير دون غيره من الضمائر المتصلة[٢].

أما من حيث تحديد الأصل السامي الأقدم لهذا الضمير، فقد اختلف علماء الساميات في ذلك، فذهب بروكلمان[٣] وأوليري[٤] إلى أنه (nā-) بحركة طويلة، ومما يعزز هذا الرأي، ورود هذا الضمير في غير لغة من اللغات السامية منتهيًا بحركة طويلة[٥]، ربما قصرت كما في الحبشية (na-)، والأكدية (ni-)، وبالإضافة إلى ذلك ورود هذا الضمير في الآشورية كتابة (nā-)[٦]. أما موسكاتي، فذهب إلى أن الأصل السامي لهذا الضمير هو (na-) بفتحة قصيرة، ويعزز هذا الفرض- في رأيه- وروده بهذه الصيغة في العمورية (Amorite)، وفي الوثائق الآرامية القديمة رسائل تل العمارنة[٧]. في حين ذهب محمد سالم الجرح[٨] وتبعه في ذلك محمد عبدالله جبر[٩] إلى أن الأصل السامي الأقدم هو (nū-) بضمة طويلة وأن العربية قلبت الضمة الطويلة إلى فتحة طويلة، بينما احتفظت العبرية والأكدية بالأصل. غير أنهما لم يعللا هذا القلب في العربية وعدم القلب في غيرها. أما خليل يحيى نامي[١٠] فرأى أن تأرجح اللغات السامية بين (nū-) و (nā-) يشير إلى وجود التثنية في ضمائر التكلم قديما، بدليل وجودهما في الأوغارتية (ny-)[١١]، ثم أشرك بعض الساميين الجمع في ضمير التثنية

---

(١) سيبويه الكتاب، ج٤، ص١٨٧.

(٢) محمد عبدالله جبر، الضمائر في اللغة العربية، ص٤٨.

(٣) بروكلمان، فقه اللغات السامية، ص٨٨.

(٤) O'Leary : Comparative Grammar of the Semitic Languages, p. 152.

(٥) السابق، pp.152-153. وانظر بروكلمان، فقه اللغات السامية، ص٨٧.

(٦) O'Leary : Comparative Grammar of the Semitic Languages, p. 152.

(٧) Moscati: AnIntr. to the Comparative Grammar, p..110.

(٨) محمد سالم الجرح، نظرة تحليلية مقارنة على الضمائر العربية، ص٦٣.

(٩) محمد عبدالله جبر، الضمائر في اللغة العربية، ص٤٧.

(١٠) خليل يحيى نامي، دراسات في اللغة العربية، ص٨٨-٩٠.

(١١) حول وجود التثنية في الأوغارتية، انظر: رمزي بعلبكي، المقايسة في صيغ الضمائر العربية والسامية، ص٤١.

(-nā)؛ فاستعملوه ضميرا للتثنية والجمع، بينما أشرك باقي الساميين التثنية في ضمير الـ[redacted]ع (-nū)؛ فاستعملوه ضميرا للجمع والتثنية أيضًا. ويبقى الرأيان الأول والثاني أكثر الآراء إقناعًا لما يتوافر لهما من أدلة تفتقر إلى مثلها الآراء الأخرى. وقد فسّر أصحابهما وجود الصيغة (-nū) في العبرية على أنه ناشئ عن قياس (-nā) على الضمير المنفصل (naḥnū) ، أو (ʾanaḥnū)، ووجود الصيغة (-nū)، والصيغة (-nī) في الأكدية على أنه ناشيء -أيضًا- قياسًا على الضمير المنفصل (nīnu) أو (nīni)[1].

تطور ضمير جماعة المتكلم:

لا نجد لهذا الضمير تطورًا في العربية الفصحى، إذ حافظت على الأصل السامي الموروث (-nā)، أما في اللهجات فربما أمال بعضها الحركة الأخيرة نحو الياء[2]، كما في عُمان وظفار (-nē)، وربما عمدت الأخيرة إلى تحويلها إلى كسرة خالصة طويلة (-nī)، كذلك ربما سقطت الحركة الأخيرة نهائيًا كما حدث في المهرية (-n)[3]. أما الأمهرية- من اللهجات الحبشية- فقد حافظت - فقط- على هذه الحركة في حالة النصب (-nă) أو (-ne)، أما في حالة الجر فقد تخلصت منها فأصبح الضمير (-n) أو(-en)[4]، مما يشير إلى أنها تسير في طريق التفريق بين ضميري النصب والجر كما حدث في المتكلم المفرد، مما يرجح ما ذهبت إليه هذه الدراسة من أن هذا التفريق ربما كان حديثًا- نسبيًا- في السامية الأم[5].

---

(١) انظر بروكلمان، فقه اللغات السامية، ص٨٨. وانظر أيضًا:

O'Leary: Comparative Grammar of the semitic Languages, p.152.

Moscati: An Intr. to the ComparativeGrammar, p.110.

(٢) O'Leary: Comparative Grammar of the semitic Languages, p.152.

(٣) السابق p. 152.

(٤) السابق p. 152.

(٥) انظر فيما سبق الحديث عن ضمير المتكلم في حالة النصب، ص ٦٨.

ب- ضمائر الخطاب

تتم صياغة ضمائر الخطاب المتصلة في اللغات السامية وفق أصل مختلف (k) عما كان في الضمائر المنفصلة (t)[١]. وقد أُختلف في تفسير ذلك، فذهب جورجي زيدان- دون تعليل- إلى أن هذه الكاف مبدلة من التاء[٢]، وأشار محمد سالم الجرح إلى احتمالين في ذلك، فإما أن تكون الكاف مبدلة من التاء كلون من التمييز بين ضمائر الرفع وضمائر النصب والجر. وإما أن يكون أصل الكاف للمتكلم المفرد، ولما استبدل التاء بها، أخذت ضمائر الخطاب كاف المتكلم كلون من التعويض[٣]. غير أن هذه الآراء يمكن الاعتراض عليها، إذ إنّ القول بالإبدال يعني أن السامية الأم كانت تستعمل التاء- قبل الإبدال- للحالات النحوية الثلاث، وهو ممالا يُسلّمْ به، بسبب وجود التفريق بين ضمائر الرفع وضمائر النصب والجر في اللغات السامية جميعًا، مما يعني أن وجود الكاف في حالتي النصب والجر ربما كان أصلاً ساميا مشتركا، أُخذَ من ضمائر منفصلة منقرضة[٤].

لذلك فمن المرجح أن يكون الأصل السامي لضمائر الخطاب المتصلة هو[٥]: (-ك، ka-) للمخاطب، (-ك، ki-) للمخاطبة، ولا يمكن وفق ما بين أيدينا من وثائق الحكمْ على طول الصائت الأخير في الأصل السامي الأقدم، غير أن احتمال أن يكون الصائت طويلاً ممكنٌ، وذلك لوروده طويلاً في ضمير الغائب والغائبة[٦]، وهو ماذهب إليه هنري فليش دون تعليل[٧].

وقد احتفظت العربية بهذين الأصلين الساميين (-ka)، (-ki)، ثم صاغت منهما ضمائر الجمع والتثنية، وفق ما فعلت في الضمائر المنفصلة فأضافت (-mū) لجمع الذكور، و (-na) لجمع الإناث فأصبح الضميران (-kumū) و(-kunna)، ويمكن تفسير ضم الكاف على أنه نشأ بتأثير الحركة (ū) في جمع المخاطبين، ثم قيس المؤنث على المذكر. ويمكن تفسير تشديد

---

(١)هنري فليش، العربية الفصحى، ص١٦٣. وانظر رأي برجشتراسر، التطور النحوي. ص٧٩.

(٢) جورجي زيدان، الفلسفة اللغوية، ص١١٨.

(٣) محمد سالم الجرح، نظرة تحليلية مقارنة على الضمائر العربية، ص٦٦،

(٤) هنري فليش، العربية الفصحى، ص١٦٣.

(٥) Moscati: An Introduction to the Comparative Grammar p.109.

(٦) السابق p. 109.

(٧) هنري فليش، العربية الفصحى، ص ١٦٣-١٦٥.

النون بناء على النبر على المقطع السابق لها. كما سبق في (أنتنّ) ثم صاغت العربية ضمير التثنية بإضافة ألف إلى ميم الجمع(knmā)[١].

تطور ضمائر الخطاب المتصلة في العربية:

تأثرت الكاف في العربية بقانون الأصوات الحنكية[٢]، بسبب مجاورتها للكسرة في ضمير المخاطبة؛ فأصبحت صوتا مركبًا (Affricate) ، إما (s') الذي ينطق (تسْ)، وهو ما تعارف عليه النحاة العرب بالكسكسة، وإما (č) الذي ينطق (تشْ)، وهو ما تعارف عليه النحاة العرب بالكشكشة[٣]، ثم انتشر هذا التأثير إلى كل كاف مكسورة، وربما غير مكسورة[٤]، فنجد (s') تنتشر في جنوب الجزيرة العربية، كما في لهجة عُمان وحضرموت (-s') أو (-s'i) وفي اللهجة المهرية (-s') ضميرا للمخاطبة[٥]. كما نجد (č) تنتشر في ضمير المؤنث والمذكر مفردا وجمعًا في لهجة فلسطين الفلاحية[٦]، وبعض مناطق الأردن، بينما تظهر في العراق في المؤنث مفردًا وجمعًا (-ič) و(-čen)[٧].

وربما سقطت الحركة الأخيرة وبقيت الكاف فقط، كما حدث في العمورية (Amorite) وكتابات تل العمارنة العبرية[٨]. وهو مانجده أيضًا في اللهجات العربية في المذكر على وجه الخصوص، إذ سُكّنتْ الكاف وسبقت بحركة قصيرة (-ak) لمنع انتهاء الكلمة بصامتين، وربما أُميلت هذه الحركة (-ek)، كما حدث في عُمان والعراق وسوريا وفلسطين ومصر

---

(١) انظر حول ذلك فيما سبق الحديث عن ضمائر الخطاب المنفصلة في هذه الدراسة، ص٣٥.

(٢) O'Leary: Comparative Grammar of the Semitic Languages, p. 154.

(٣) انظر حول الكسكسة والكشكشة، رمضان عبد التواب، فصول في فقه العربية ص١٤٠-١٤٩.

(٤) أنو لتمان، بقايا اللهجات العربية،ص٢٩.

(٥) O'Leary: Comparative Grammar of the Semitic Languages, p. 153.

(٦) السابق p. 153.

(٧) السابق p. 153.

(٨) Moscti: An Introduction to the Comparative Grammar, p. 109.

وربما حدث العكس بالإبقاء على الحركة وإطالتها كما حدث في (-kī)، (السابق p. 109)، في حين عدّ (P.E.kahle) صيغة المذكر العبرية (-kā) من وضع النحاة. (رمزي بعلبكي، المقايسة في صيغ الضمائر ، ص٣٨، حاشية).

والمغرب وغيرها[١]. أما إذا سكنت كاف المؤنث فعادة ما يستعاضُ عنها بكسرة قبل الكاف (-ik) كما حدث في مصر وسوريا وفلسطين، و (-iš̌) في العراق[٢].

أما في ضمير المخاطبين فمالت اللهجة المصرية إلى إسقاط الميم والإبقاء على الضمة الطويلة(-kū)[٣]، وهو ما نجده أيضًا عند فلاحي فلسطين (-š̌ū)[٤]، بينما مالت اللهجة اللبنانية والسورية إلى قلب الميم نونا قياسًا على المؤنث: (-kon)[٥]. في حين سقط جمع الإناث في شمال إفريقيا[٦]، وسقط المثنى في جميع اللهجات العربية الحديثة.

---

(١) O'Leary: Comparative Grammar of the Semitic Languages, p. 153.

(٢) السابق p. 153.

(٣) السابق p. 153.

(٤) السابق p. 153.

(٥) السابق p. 153.

(٦) السابق p. 153.

جـ- ضمائر الغياب

استعملت العربية واللغات السامية ضمائر الغياب المنفصلة ضمائر غياب متصلة دون نحت أو اختصار[١]، باستثناء ضميري الغائب والغائبة، إذا جردتهما من عنصر الترميم (ʾa-) الذي ألحق بهما، وما ترتب عليه[٢]. من ذلك يمكن القول: إن الأصل السامي القديم لضمائر الغياب المتصلة هو (-hū) للمذكر، و(šā) للمؤنث التي تحولت إلى (-hā) قياسًا على المذكر[٣]، ويبدو أن الصائتين (ū) و(ā) أصيلان في المذكر والمؤنث[٤]، غير أنه لم يُؤلَف استعمال الصائت (a) للتأنيث، ولا يزال تفسير وجوده في ضمير الغائبة المتصل غامضًا[٥]، ومن الملاحظ أن لهجة بدو فلسطين تستعمل ضمير الغائبة المتصل وفق الصيغة (-hiy) القريبة من الضمير المنفصل، فتقول في (كتابُها): (كْتابهيْ ktābhiy)، وربما كان ذلك محافظة على أصل قديم، أو قياسًا على الضمير المنفصل.

تطور ضمائر الغياب المتصلة في العربية:

حافظت العربية على طول الصائت بعد الهاء في كل من المذكر والمؤنث، فلم تقصّره إلا لأسباب صوتية عارضة؛ فقصرته في المذكر فقط بشكل مطرد[٦] إذا سُبق الضمير بمقطع طويل مفتوح (ص ح ح)، تخلصًا من توالي المقاطع الطويلة المفتوحة، ومالت إلى تقصيره- بشكل أقل نسبيًا مما سبق[٧]- إذا سبق الضمير بمقطع طويل مقفل (ص ح ص)، فرارًا من توالي المقاطع الطويلة؛ بسبب تساويها في المدة الزمنية التي يستغرقها النطق بها،

---

(١) محمد سالم الجرح، نظرة تحليلية على الضمائر العربية، ص٦٦.

(٢) انظر فيما سبق، الحديث عن ضمائر الغياب المنفصلة، ص٦٤.

(٣) انظر فيما سبق، الحديث عن ضمائر الغياب المنفصلة، ص٦٤.

(٤) رمزي بعلبكي، المقايسة في صيغ الضمائر، ص٣٩.

(٥) نص محمد سالم الجرح على قلب الياء في(هي) ألفا وهو تفسير وصفي غير معلل. (نظرة تحليلية على الضمائر العربية، ص ٦٦).

(٦) قارن بما ورد في كتاب سيبويه ج٤، ص١٨٩، وما بعدها.

(٧) قارن بما ورد في كتاب سيبويه ج ٤،ص١٩٠، وما بعدها.

أما إذا سبق الضمير بمقطع قصير فإن العربية لا تجيز تقصيره مطلقاً[١] إلا في الوقف فهي ربما وقفت على الضمير بسكون الهاء[٢]. والعربية مع كل هذا تبيح الإبقاء على الصائت طويلاً كما هو في الأصل، يقول سيبويه: "**ولو أثبتوا لكان أصلاً وكلامًا حسنًا من كلامهم**".[٣]

وكذلك قلبت العربية الضمة في المذكر كسرةً إذا سبقت بكسر أو ياء[٤] طلبًا للمماثلة مثل: بـه وعليْـه، غير أن أهل الحجاز أبقوا على الأصل[٥]؛ فقُرأ ﴿**فَخَسَفْنَا بِهُو و بِدارِهُو الأرض**﴾[٦]، وبها جاءت قراءة حفص عن عاصم في قوله ﴿**وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عاهدَ عَلَيْهُ اللهَ**﴾[٧].

وامتدت هذه المماثلة إلى الحركة بعد الهاء في المثنى والجمع، في مثل بهمْ وعليْهمْ، وربما امتد تأثيرها إلى الحركة بعد الميم[٨]، مثل: لَديْهمي مالٌ[٩].

أما في اللهجات العربية الحديثة، فقد مال بعضها إلى إسقاط الهاء والإبقاء على الحركة، وشاع ذلك في غير لهجة في المذكر فقط، إذْ أصبح الضمير فيها:(-ū) أو (-ō)، وربما قصرت هذه الحركات[١٠]، فيقال في : (كِتابُهْ) و(ضَرَبَهْ)← (كتابو، ktabu(o))، و(ضربُو، darabū(ō)) . وتوسعت في ذلك اللهجة اللبنانية واللهجة السورية فقالوا في ضمير الغائبة: (كتابا، ktābā) و(ضَرَبا، ḍarabā)، وقالوا في جمع الغائبين: (كْتابُنْ، ktābon)، و(ضربُن، ḍarabon)، وقالوا في جمع الغائبات: (كْتابِنْ، ktāben)، و(ضَرَبِنْ، ḍarben).[١١]

---

(١) انظر حول ما سبق، رمضان عبد التواب، التطور اللغوي، ص٤٣-٤٤.

(٢) انظر سيبويه، الكتاب، ج ٤، ص١٩٢.

(٣) السابق، ج٤، ص١٩١.

(٤) السابق، ج٤، ص١٩٥ وانظر رمضان عبد التواب، التطور اللغوي، ص٢٥-٢٦.

(٥) المرجعان السابقان.

(٦) المرجعان السابقان، والآية من سورة القصص: ٨١.

(٧) سورة الفتح ، الآية ١٠.

(٨) سيبويه، الكتاب، ج٤، ص١٩٥.

(٩) السابق، ج٤ ص١٩١.

(١٠) O'Leary: ComparativeGrammar of the semitic Languages, p156.

(١١) شبيهٌ بهذا ما حدث في الحبشية إذ أصبحت الضمائر المتصلة للغياب فيها (-o) للغائب، و (-ōmū) للغائبين، و (-ōn) للغائبات، وقد فسّر بروكلمان ذلك" بسبب إدغام حركة:(a) الموجودة في آخر الفعل أو الاسم، في الصيغ الأصلية للضمائر، وهي:hu ، humū، hun" (بروكلمان، فقه اللغات السامية، ص٨٨)، وهذا التفسير ربما يكون مقبولاً أيضًا لتفسير ما حدث في اللهجات العربية.

ضمائر النصب المنفصلة

طورت العربية ضمائر النصب -دون ضمائر الجر- فصلتها؛ بإضافة السابقة (إيّا، -ʾiyyā) إليها. واختلف النحاة في ذلك اختلافاً كبيراً[١]، في تحديد هوية (إيّا-) من جهة، وفي تحديد هوية ما بعدها من جهة أخرى، فجاء في شرح الرضي للكافية ما مؤاده[٢]:

١- قال سيبويه والخليل والأخفش والمازني وأبو علي الفارسي: إنّ الاسم المضمر هو (إيّا)، إلا أن سيبويه قال: ما يتصل به بعده حرفٌ يدل على أحوال المرجوع إليه، كما هو مذهب البصريين في التاء بعد (أنْ) في (أنْتَ)، وقال الخليل والأخفش والمازني: ما يتصل به أسماء أضيف (إيّا) إليها، لقولهم: "**فإيّاه وإيا الشواب**"[٣].

٢- قال الزجاج والسيرافي (إيّا) اسم ظاهر مضاف إلى المضمرات فكان[٤] إيّاك بمعنى نفسك.

٣- وقال قوم من الكوفيين: إيّاك، وإيّاهُ، وإيّايَ، أسماء بكمالها.

٤- وقال بعض الكوفيين وابن كيسان من البصريين: إنّ الضمائر هي اللاحقة بـ (إيّا)، و (إيّا) دعامة لها لتصير بسببها منفصلة.

ويمكن حل هذا الإشكال بالمقارنة السامية، إذ يتضح أن (إيّا-) العربية هي المقابل لأداة المفعولية[٥] (אֵת ، ʾet) والتي ترد في العبرية قبل الاسم المعرف أو المضمر[٦]، ويقابلها

---

(١) انظر الآراء حول ذلك: أبو البركات الأنباري، الإنصاف، المسألة ٩٨؛ ابن يعيش، شرح المفصل، ج٣، ص ٩٨؛ خالد الأزهري، شرح التصريح على التوضيح، ج١، ص ١٠٣.

(٢) الأستراباذي، شرح الكافية، ج٢، ص ١٢-١٣.

(٣) ورد هذا الشاهد في كتاب سيبويه، ج١، ص٢٧٩.

(٤) في مطبوعة الكتاب (كان) والفاء زيادة يقتضيها السياق.

(٥) ويذهب برفمان إلى أن تكون (إيّا) العربية قد نشأت لسبب صوتي، هو فصل الضمير المتصل إذا كان مفعولاً به ثانيا لفعل مفعوله الأول المتكلم، مثل: أعطانيهُ niyahu ← ʾaʿtā أعطاني يهُ (i) yahu ʾaʿtān، انظر:

Bravmann M: Studies in Semitic Philology, p. 184.

(٦) مثال ذلك ما ورد في التوراة في سفر التكوين، الإصحاح الأول، العدد ٢٧.

في الآرامية (ʾyt ، yat)، وفي الحبشية (kīyā ، ከያ)، وفي الآشورية (attu-)[١]، وربما كانت الأداة العبرية (אֵת) متطورة عن أحد حروف الجر فيها (אֵת) بمعنى (مع)[٢]. وكذلك ربما كانت التاء العبرية والآرامية عنصرًا إشاريًا ألحق بأصل الأداة، في مقابل إلصاق السابقة الإشارية (-k) قبلها في الحبشية[٣]. لذلك نخلص إلى نفي ما ذهب إليه النحاة من أن (إيّا-) اسم ظاهر، أو مضمر، أو اسم مبهم[٤]، وربما كان الأولى أن تكون أداة للمفعولية - كما في غير العربية- مختصة بالضمائر في العربية، وأن يكون ما بعدها ضمائر نصب، كما لو لم تكن (إيّا) موجودة. وأقرب آراء النحاة إلى هذا الفهم ما ذهب إليه بعض الكوفيين وابن كيسان -مع التحفظ على القول بأن (إيّا-) حرف عماد- وهو ما صححه الرضي[٥].

أما ما ذهب إليه محمد عبد الله جبر بأن (إيّا-) اسم ظاهر وما بعدها مضاف إليها- وهو ما قال به الزجاج والسيرافي- اعتمادًا على استعمال العربية لياء المتكلم في حالة الجر: (إيّاي)[٦]- فيمكن دفعه بحجة أن لواحق (إيّا-) هي دائمًا ضمائر نصب وليست ضمائر جر بدليل المعنى أولاً، وكذلك لورودها متصلة بضمير النصب للمتكلم (-ني) في بعض اللهجات العربية: (إيّاني) وهو ما يُسمع في بلاد الشام، كقولهم: (بدك ياني؟) بمعنى أتريدني، وقولهم -أيضًا- (أعطيتو اياني): بمعنى أأعطيتني له!

ولا داعي لنفي وجود ضمائر النصب المنفصلة في العربية -كما ذهب محمد سالم الجرح[٧] ومحمد عبد الله جبر[٨]- بل يمكن القول بأن ضمائر النصب العربية تفصل إذا تطلب المقام أو المعنى ذلك عن طريق إلصاقها بأداة المفعولية (إيّا-).

---

(١) Wright, W. Lectures on the Comparative Grammar, pp. 112-113

(٢) حول حرف الجر (אֵת) انظر قاموس قوجمان، وربحي كمال، المعجم الحديث.

(٣) يرى وليم رايت أن التاء للتأنيث بينما يرى أن الكاف الحبشية عنصر إشاري انظر:

Wright, W. Lectures on the Comparative Grammar, p. 112.

(٤) وهو رأي المبرد، انظر أبو البركات الأنباري، الإنصاف، مسألة ٩٨، ص ٦٩٥.

(٥) الأستراباذي، شرح الكافية، ج٢، ص ١٣.

(٦) محمد عبد الله جبر، الضمائر في اللغة العربية، ص ٦١-٦٢.

(٧) محمد سالم الجرح، نظرة تحليلية على الضمائر العربية، ص ٦٦-٦٧.

(٨) محمد عبد الله جبر، الضمائر في اللغة العربية، ص ٦٣.

الباب الثاني

اللواصق الضميرية وأثرها في بناء الجملة العربية

الفصل الأول

اللواصق الضميرية في الفعل العربي

١- اللواصق الضميرية في الفعل الماضي

٢- اللواصق الضميرية في الفعل المضارع

الإلصاق في الفعل العربي

تعمد العربية إلى ظاهرة الإلصاق كغيرها من اللغات السامية واللغات الهندوأوروبية، باعتبارها من الظواهر التي تنشأ من رغبة المتكلم في إيصال أكبر قدر ممكن من الرسالة اللغوية بأقل قدر ممكن من الجهد المصاحب للحدث الكلامي. يقول فندريس: "**تركب اللغات الهندية الأوروبية والسامية نوعين من دوال النسبة [المورفيمات] ... تبادل الحركة والإلصاق، ولكن بدرجات مختلفة، فتبادل الحركة يلعب في السامية دورًا أوسع مما في الهندية الأوروبية ... وذلك يسمح للغات السامية بصياغة عدد من الكلمات المشتقة دون حاجة إلى لواصق...**"(١).

غير أن ما يهم هذه الدراسة هو الإلصاق، لأن تبادل الحركة سيخرجنا عن حدود الدراسة، باعتباره مما اختص به علم الصرف العربي، وكذلك تهتم الدراسة بالإلصاق النحوي دون الإلصاق التصريفي (ما اصطلح على تسميته بحروف الزيادة).

يفرّق فندريس بين نوعين من اللواصق هما(٢):

١- اللاحقة. ٢- العلامة.

و على الرغم من أن كلاً من اللاحقة والعلامة يضاف إلى الجذر الفعلي، إلا أن هناك فارقا دقيقا بينهما: "**فاللاحقة تشير إلى النوع العام الذي تنتسب إليه الكلمة (اسم فاعل، مصدر، اسم آلة، مكبر، مصغر، ... إلخ) بينما تشير العلامة إلى مجرد الدور الذي تلعبه الكلمة في الجملة، فالعلامات تقوم بدور مخالف لدور اللواحق**"(٣). إذن، فالعلامة هي المقابل لمفهوم الحركة الإعرابية في مصطلح النحو العربي، فالكلمات "**التي صارت لواحق بعد أن فرغت من معانيها الحقيقية، أخذت قيمة تجريدية جعلتها قابلة للتعبير عن فصيلة صرفية**"(٤). ويرى تمام حسّان:

---

(١) فندريس، اللغة، ص ١١٣-١١٤.

(٢) السابق، ص ١١٤.

(٣) السابق، ص ١١٥.

(٤) السابق، ص ٢٢١.

أن اللواصق العربية يمكن تقسيمها إلى ثلاثة أنواع هي[1]:

١- الصدور Prefixes (السوابق).

٢- الأحشاء Infixes

٣- الأعجاز Suffixes (اللواحق).

غير أن ما تهتم به الدراسة هو الإلصاق في المستوى النحوي -الجملي، أو ما يمكن أن يسمى الإلصاق الضميري أي تلك اللواصق التي تمتلك إحالة ضميرية إلى الشخص أو العدد أو الجنس، وهو أيضًا ما يمكن أن يطلق عليه الإلصاق الإسنادي. وتتوزع الحالات الإلصاقية في الفعل العربي وفق أقسامه إلى ثلاث هي:

١- الإلصاق في الفعل الماضي [التام].

٢- الإلصاق في الفعل المضارع [غير التام].

٣- الإلصاق في فعل الأمر.

وعليه سينحصر هذا الجزء بدراسة الإلصاق في سوابق هذه الأفعال ولواحقها من زاوية الإلصاق الضميري.

---

(١) تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، ص ١٨٨.

اللواصق الضميرية في الفعل الماضي

عمدت العربية-وأخواتها الساميات- إلى استعمال لواحق ضميرية تُلصق بالفعل الماضي، لتحديد بعض صفات المسند إليه، من حيث الجنس والعدد والشخص، غير أن بعض الدارسين ذهب إلى أن المسند إليه في الفعل الماضي محدد مع الغائب في كل من الجنس والعدد فقط [١] وهو وهم سيتضح عند الحديث عن لواحق الغياب بشيء من التفصيل.

أ-: لواحق التكلم:

استخدمت اللغات السامية اللاحقة الضميرية (ku-، -كُ) مع الفعل الماضي للدلالة على المتكلم المفرد غير أن كثيرًا من اللغات السامية استبدلت التاء (tu-، تُ) بالكاف[٢]، وهو ما حدث في العربية (tu-)، والعبرية (ti-)، والآرامية (et-)، والسريانية (et-)، والفينيقية والأوغاريتية (t-)[٣] ، في حين أبقت اللغات السامية الشرقية -البابلية والآشورية[٤]- واللغات السامية الجنوبية -عدا العربية- على الأصل، وهو ما يظهر في الأكدية[٥](kū-)، والحبشية (kū-)[٦]، وهو ما يظهر -أيضًا- في بعض اللهجات العربية الجنوبية -الحديثة-، كما في المهرية [٧](ek- أو ik-)، والسقطرية [٨](k-)، والشحارية والحرسوسية[٩]، كما سجل خليل

---

(١) هنري فليش، العربية الفصحى، ص ١٢٩.

(٢) بروكلمان، فقه اللغات السامية، ص١١٨؛ وبرجشتراسر، التطور النحوي، ص ٧٦-٧٧.

(٣) رمزي بعلبكي، المقايسة في صيغ الضمائر العربية والسامية ص٤٤، وانظر المرجعين السابقين.

(٤) وهي أيضاً الأكدية، انظر في ذلك، ولفنسون، تاريخ اللغات السامية، ص٢٢-٢٣، حاشية.

(٥) ورمزي بعلبكي، المقايسة في صيغ الضمائر العربية والسامية، ص ٤٤؛ وأيضاً برجشتراسر، التطور النحوي، ص ٧٦-٧٧.انظر :

O'Leary: Comp. Gr. of the Semitic Languages.P. 241.

(٦) السابق؛ وانظر بروكلمان، فقه اللغات السامية، ص١١٨.

(٧) O'Leary: Comp. Gr. of the Semitic Lang. P. 242.

(٨) السابق .P.242.

(٩) خليل يحيى نامي، ضمير المتكلم المرفوع، ص١٠٤.

يحيى نامي هذا الاستعمال في لهجة قضاء حراز غرب صنعاء، ولهجة قضاء الطويلة في شمال غربي صنعاء[١]، وكان -قبل ذلك- وليم رايت أشار إلى شيوع هذا الاستعمال في جنوب الجزيرة العربية بشكل عام[٢].

ويرى علماء الساميات أن تحول اللغات السامية إلى استخدام التاء عوضا عن الكاف، تمّ بتأثير من تاء الخطاب[٣]، فالكاف "**هي الأصل؛ ويدلنا على ذلك الاحتجاج الآتي: لو كانت التاء هي الأصل لكنا نضطر أن نفترض أنها قلبت كافاً... بغير علة ظاهرة مفهومة. وبالعكس إذا كانت الكاف هي الأصل فهمنا سبب إبدالها تاء بسهولة، وهو أن التاء موجودة في المخاطب فأدخلوها إلى المتكلم أيضًا، على قياس المخاطب**"(٤)، وقد عمل هذا القياس في اتجاهين متعارضين؛ ففي حين مالت العربية واللغات السامية الغربية إلى قياس المتكلم على المخاطب، مالت الحبشية واللهجات العربية الجنوبية إلى قياس المخاطب على المتكلم، فاستخدمت الكاف أيضًا للمخاطب[٥]. ولم يحتفظ بالأصل السامي القديم -الكاف للتكلم والتاء للخطاب- غير اللغة الأكدية[٦]. ومما يؤكد أن التاء ليست أصلا في التكلم اتفاق لغتين متباعدتين جغرافياً في استعمال الكاف هما الحبشية والأكدية، وكذلك ورود الكاف في الضمير المنفصل للمتكلم في غير لغة[٧]، مثل العبرية التي تستعمل التاء مع الماضي في حين أن الكاف تظهر في الضمير المنفصل[٨].

ومع التأكيد على أن استعمال الكاف شائع في اللهجات العربية الجنوبية الحديثة -كما سبق- فإننا لا نملك شواهد عربية فصيحة على ذلك، وكان محمد عبد الله جبر ظن أن ما ينسب لسحيم عبد بني الحسحاس -قوله (أحسنكْ)- هو من باب استخدام الكاف الضمير

---

(١) السابق ، ص١٠٤.

(٢) Wright. W. Lectures on the Comp. Gr. of Semitic Lang. P. 175.

(٣) السابق .P.175. وبروكلمان، فقه اللغات السامية، ص١١٨؛ وانظر رمزي بعلبكي، المقايسة في صيغ الضمائر العربية والسامية، ص٤٥. ويضاف رأي اخر في تفسير ذلك يقدمه وليم رايت مفاده أنه ربما حدث التبادل بين الكاف والتاء كما هو حادث في المخاطب اذ نجد (-ت) في الرفع و (-ك) في النصب غير أنه يميل إلى الرأي الآخر ، .P.175.

(٤) برجشتراسر ، التطور النحوي، ص ٧٦.

(٥) بروكلمان فقه اللغات السامية ص ١١٨، وانظر : O'Leary: Comp. Gr. of the Semitic Lang. P. 242

(٦) O'Leary: Comp. Gr. of the Semitic Lang. P. 242

(٧) رمزي بعلبكي، المقايسة في صيغ الضمائر العربية والسامية، ص٤٥.

(٨) برجشتراسر ، التطور النحوي، ص٧٦-٧٧.

الحبشي أو الجنوبي العربي للمتكلم[١]؛ فمصادر هذا النص تضبطه على النحو التالي:" **إذا أُنشدَ شعراً، قال : أَحْسَنْكَ**"[٢]،فكذا ضبطه محقق الخزانة ومحقق شرح شواهد الشافية، وكذلك محقق سر الصناعة، مما يشكك في أن يكون ذلك شاهداً على استعمال الكاف للمتكلم في العربية. غير أن بعض المصادر العربية سجلت شواهد لذلك من اللغة الحميرية فقد ذكر خليل يحيى نامي أن هناك نصاً ورد في كتاب تاريخ صنعاء اليمن لإسحاق بن جرير الصنعاني [٣] مفاده:" **أنَ أم وهب بن منبه قالت: رأيكْ بنحلم كولدكْ ابناً من طيب، والطيب الذهب بالحميرية، قالت رأيت كأني ولدتُ ولداً من طيب**"[٤]. كما أورد نصاً آخر في الإكليل[٥] وهو : "**إني سمعة (شمعة) بنت ذي مراثد كنكْ إذا وحمكْ = كنتُ إذا اشتهيتْ**"[٦].

واستعملت اللغات السامية اللاحقة الضميرية (-nā) للدلالة على المتكلم إذا كان معه غيره –المتكلم المجموع–[٧]. والأصل السامي لهذه اللاحقة الضميرية هو (-nā) عند الباحثين[٨]، وخالفهم في ذلك محمد عبد الله جبر فذهب إلى أن الأصل هو (-nū)[٩] وأن "**العربية حولت ضمه الطويل إلى الفتح الطويل**"[١٠] دون أن يقدم سنداً علمياً على ذلك، غير ورود هذا الأصل المفترض –عنده– في العبرية، وقد فسَّر علماء الساميات هذه الصيغة العبرية على أنها إما ناشئة بتأثير من الواو (-ū) اللاحقة الضميرية لجمع الغائبين

---

(١) محمد عبد الله جبر ، الضمائر ، ص٤٧.

(٢) انظر البغدادي، خزانة الأدب (هارون) ج٤ ص٤٢٩، البغدادي، شرح شواهدالشافية ص٤٢٥، وابن جني، سر صناعة الإعراب، ج١ ص ٢٨١. وتختلف المصادر العربية في ضبط هذا القول فقد أورده البغدادي: ينشد الشعر ثم يقول: "أَحْسَنْدَ والله" خزانة الأدب،ج٢، ص١٠٤.

(٣) مخطوطة بمكتبة بلدية الإسكندرية برقم ٣٦٨٢ اللوحة ١٦٧. (عن خليل يحيى نامي، ضمير المتكلم المرفوع، ص ١٠٣ حاشية).

(٤) خليل يحيى نامي، ضمير المتكلم المرفوع، ص١٠٣، حاشية.

(٥) وقد ضبط هذا النص محقق الإكليل وفق الآتي: "أنا شمعة بنت مراند كُنْكْ. إذا وُحْمكْ أول بالقشم من أرض الهند" (الهمداني، الإكليل،ج٨ ص ٢٣٠) أي أنا شمعة بنت مراند كنتُ إذا اشتهيت أتى بالفاكهة من الهند.

(٦) خليل يحيى نامي، ضمير المتكلم المرفوع، ص ١٠٣-١٠٤ حاشية، وانظر محمد عبدالله جبر ، الضمائر في اللغة العربية، ص٤٦.

(٧) بروكلمان، فقه اللغات السامية، ص١١٩.

(٨) السابق، ص ١١٩، وانظر رمزي بعلبكي، المقايسة في صيغ الضمائر العربية والسامية، ص ٤٦، وانظر أيضا O'Leary: Comparative Grammar of the Semitic Languages. p. 244.

(٩) محمد عبدالله جبر ، الضمائر في اللغة العربية، ص٤٧.

(١٠) السابق ، ص٤٧.

في مثل: قالوا[١]، حسب رأي أوليري أو بتأثير من الضم في الضمير المنفصل (نحنْ، nalınu)[٢] وهو ما ذهب إليه بروكلمان وهذه اللاحقة الضميرية (-nā) هي نفسها تظهر ضميراً للمتكلمين في حالتي النصب والجر، وهي الحالة الوحيدة في اللغة العربية التي تتفق فيها ضمائر النصب والجر مع لواحق الفعل الضميرية[٣]، ولم يقدم لنا الباحثون تفسيراً علمياً لذلك.

ب- لواحق الخطاب:

جردت اللغات السامية لواحق ضميرية للخطاب، عن طريق إسقاط العنصر الإشاري (أن-، -ʾan) من ضمائر الخطاب المنفصلة، لتبقى بعد ذلك تاء الخطاب (ا-) متبوعة بدوال الجنس والعدد[٤]. غير أن عملية القياس التي حدثت في التكلم قامت هي عينها بدور هام في اللواحق الضميرية للخطاب، في كل من الحبشية والعربية الجنوبية[٥]، إذ مالتا إلى قياس المخاطب على المتكلم، فقلبت تاء الخطاب كافاً، وهذا ما يفسر ما أثر في المصادر العربية من قلب التاء كافاً، فيما ينسب لسحيم عبد بني الحسحاس "**إذا أُنشدَ شعراً قال: أحسنكَ واللهِ، يريد أحسنتَ**"[٦]، وكذلك في قول الشاعر[٧]:

يَا ابْنَ الزُّبَيْرِ طَالَمَا عَصَيْكَا وَطَالَمَا عَنَّيْتَنَا إِلَيْكَا[٨]

وكان النحاة العرب تنبهوا إلى هذا الإبدال؛ فيفهم من كلام ابن جني[٩] أن استعمال الكاف في الشاهدين السابقين هو من باب التغير الصوتي حين نص على اتفاق الكاف والتاء

---

(١) O'Leary: Comp. Gr. of the Semitic Lang. P. 244

(٢) بروكلمان، فقه اللغات السامية، ص١١٩.

(٣) محمد عبدالله جبر، الضمائر في اللغة العربية، ص٤٨.

(٤) انظر القسم الخاص بضمائر الخطاب من هذه الدراسة. ص ٢٩ وما بعدها.

(٥) O'Leary: Comparative Grammar. of the Semitic Lang. P. 242

(٦) البغدادي، خزانة الأدب، ج ٤، ص٤٢٩. وانظر ابن جني، سر صناعة الإعراب، ج ١ ص٢٨١.

(٧) نسب هذا البيت أبو زيد في نوادره لراجز من حمير وتابعه في ذلك الجوهري وصاحب اللسان، انظر اللسان ج ١٥، ص٤٤٥ (تا) وانظر خزانة الأدب ج ٤، ص٤٣٠.

(٨) انظر ما في الحاشيتين السابقتين.

(٩) ابن جني، سر صناعة الإعراب، ج١ ص٢٨١. وهذا الرأي نجده منسوباً لأبي الحسن الأخفس في الخزانة ج٤ ص٤٢٩، وفي المسائل العسكريات ص٧٩. هو لأبي على الفارسي.

في الهمس، ونجد ابن هشام بعد ذلك ينص على أن " **الكاف بدل من التاء بدلاً تصريفيًا لا من إنابة ضمير عن ضمير كما ظن**"[١] الأخفش وابن مالك [٢] وصاحب الخزانة[٣].

فكانت اللواحق الضميرية للخطاب على النحو التالي:

عدد / جنس	مفرد	مثنى	جمع
مذكر	-ت، -ta	-تُما، -tumā	-تُم(و)، -tum(ū)
مؤنث	-تِ، -ti	-تُما، -tumā	-تُنَّ، -tunna

جـ- لواحق الغياب

ميّزت العربية واللغات السامية لواحق الغياب عن لواحق التكلم والخطاب، باختيار لواحق ضميرية حركية (أي تبدأ بحركة)[٤] للغياب، في مقابل اللواحق الصامتية (أي ما عرف في النحو العربي بضمائر الرفع المتحركة) للتكلم والخطاب؛ مما يعني أن اللغات السامية تفرق في الشخص في لواحق الفعل الماضي عن طريق نوع الصوت الذي تبدأ به اللاحقة، وهذا يخطِّئ الرأي القائل بأن لواحق الغياب غير محددة الشخص في الماضي[٥].

فقد درجت الدراسات العربية على اعتبار الفعل الماضي خاليا من اللواحق الضميرية؛ إذا أُسند إلى غائب أو غائبة، معتبرين الفتح -وهو عندهم الحركة البنائية للفعل- جزءا من الصيغة الفعلية المجردة، فلم يروا فيها أي نوع من الدلالة الضميرية، وقد خرجت دراساتهم إلى أبعاد غير لغوية حين حاولوا تفسير اختيار الفتحة دون غيرها[٦]. بيد أن الدراسات الحديثة ترى أن الإلصاق الضميري جزء لا تقوم الصيغة الفعلية دونه، " **فليس ثمة فعل**

---

(١) ابن هشام، مغنى اللبيب، ج١ ص١٥٣(عبد الحميد)؛ و ص ٢٠٤، (المبارك).

(٢) البغدادي ، خزانة الأدب، ج ٤ ص٤٣٠.

(٣) البغدادي ، شرح شواهد الشافية، ص ٤٢٦.

(٤) أشار إلى هذا المفهوم فوزي الشايب، غير أنه لم يربط بينه وبين دلالتها على الشخص، انظر فوزي الشايب، الماضي المجرد ومسألة البناء على الفتح، ص١٢٥-١٢٦.

(٥) هنري فليش، العربية الفصحى، ص١٢٩، وأحمد الحمو ، محاولة ألسنية في الإعلال، ص ١٧٣.

(٦) انظر حول ذلك دراسة فوزي الشايب، الماضي المجرد ومسألة البناء على الفتح، ص١٢٠-١٢٢.

يمكن أن يوجد بدون لاصقة ضميرية تتصل به"[١]، وكانت الدراسات الاستشراقية، أول من نبه على أن الفتحة في الفعل الماضي ما هي إلا لاحقة ضميرية، فهذا بروكلمان يتعامل مع الفتحة (a) على أنها لاحقة ضميرية مساوية لباقي اللواحق الضميرية في الخطاب والتكلم[٢]، كما فعل الشيء نفسه موسكاتي[٣]، أما أوليري فذهب إلى أنها لاحقة شخصية مثل التاء (ta-) تماما[٤]، وهو يرى لذلك أنها ممتلكة لأهم الدلائل الضميرية، وهي دالة الشخص، في حين يذهب بعض الباحثين إلى أن لواحق الغياب تفتقر لهذه الدالة[٥]، على الرغم من اعترافهم أحيانا بضميرية الفتحة[٦]. أما وليم رايت فيرى أن "**من الممكن أن تكون الفتحة الأخيرة في "فَعَلَ: (faʿala)" ترخيما أو اختزالاً لعنصر ضميري**"[٧]، وتابع فوزي الشايب هذه الآراء في ضميرية الفتحة (a-) في الفعل الماضي موحدا بين مفهومي الضمير واللاحقة الضميرية[٨]، في حين أن هذه الدراسة تميل إلى التفريق بينهما، وتبعا لذلك سيختلف تفسير الجملة العربية كما سيرد في فصل قادم[٩].

أما برجشتراسر فنجده يتبنى رأياً خاصًا في هذا الفتحة قائلاً: "**أما الفتحة الانتهائية في: (فَعَلَ) فأصلها مجهول، ومعناها غامض. ومع ذلك، يتضح كل الاتضاح أن لا علاقة بينها وبين (هُوَ) أو (هُ)**" [١٠]؛ وكان فوزي الشايب نسب إليه خطأ القول بأنها علامة تطابق[١١].

---

(١) السابق، ص ١٢٥.

(٢) بروكلمان، فقه اللغات السامية، ص ١١٨.

(٣) Moscati: An Introduction to the Comparative Grammar. p. 170 .

(٤) O'leary: comparative Grammar of the Semitic Languages, p. 229.

(٥) هنري فليش، العربية الفصحى، ص ١٢٩.

(٦) أحمد الحمو، محاولة ألسنية في الإعلال، ص ١٧٣-١٧٤.

(٧) Wright, W., Lectures on the comparative grammar of the Sematic Languages. p. 178. نقلاً عن (فوزي الشايب، الماضي والمجرد ومسألة البناء على الفتح، ص ١٢٦).

(٨) فوزي الشايب، الماضي المجرد ومسألة البناء على الفتح، ص ١٢٥.

(٩) انظر الفصل القادم من هذه الدراسة، ص ٩٢ وما بعدها.

(١٠) برجشتراسر، التطور النحوي، ص ٨١.

(١١) فوزي الشايب، الماضي المجرد ومسألة البناء على الفتح، ص ١٢٩.

من ذلك تخلص هذه الدراسة إلى أن الفتحة النهائية في : (فَعَل)، ما هي إلا لاحقة ضميرية تدل على الإفراد والتذكير والغياب[١]، فدلالة العدد متأتية من طول الفتحة (a-)، "**فإذا كانت الألف -وهي مصوت طويل- تدل على التثنية فلماذا لا تدل الفتحة -وهي مصوت قصير- على الإفراد**"[٢]! أما دلالة الجنس فسارت فيها العربية وفق نهجها العام في ترك المذكر بلا علامة في مقابل علامة المؤنث (ا-)، ودلالة الغياب متأتية من صائتيّة اللاحقة كما مرّ.

و على الرغم من أن الدراسات السامية تشير إلى أن هذه الفتحة أصيلة في السامية الأم ثم سقطت "**في جميع اللغات التي تفرعت منها باستثناء العربية والحبشية**"[٣]، وعلى الرغم من تأكيد الباحثين على ضميريتها؛ لا نجد أحداً يؤكد أصل هذه اللاحقة مع إدراكهم أن لا علاقة بينها وبين الضمير المنفصل للغائب[٤]، فمنهم من اكتفى بالإشارة إلى أصلها المجهول، كما فعل برجشتراسر[٥]، ومنهم من حاول الربط بين هذه الفتحة وسابقة المضارع (يفعل) قياساً على حالتي التكلم والخطاب، كما فعل وليم رايت الذي ذهب إلى "**أن أصل (فَعَلَ) هو (فَعَلْ -يَ faʿalya)، ومع أن وليم رايت يلح على ضميرية لاحقة الماضي (فَعَلَ) الذي هو على الأرجح اختصار لـ (فَعَلْ+يَ) فإنه توقف بالنسبة لأصل هذه اللاحقة واعترف بجهله بشأن اشتقاقها**"[٦]، وهذا الرأي الأخير ربما يقترب مما تذهب إليه الدراسة من استخدام اللواحق الضميرية الحركية للغياب من حيث حركيّة الفتحة (a-) وشبه حركية ياء المضارعة (ya-)، التي ربما كانت حركة تحوّلت لشبة حركة لوقوعها في صدر الكلمة[٧]، إلا أن ذلك لا يمكن أن يعدّ رأياً شافياً حول الأصل الذي تطورت عنه الفتحة والياء وعلاقة ذلك الأصل بالضمير المنفصل.

---

(١) السابق، ص ١٢٢-١٢٣.

(٢) أحمد الحمو، محاولة ألسنية في الإعلال، ص ١٧٤.

(٣) رمزي بعلبكي، المقايسة في صيغ الضمائر العربية والسامية، ص ٤٤ هامش.

(٤) برجشتراسر، التطور النحوي، ص ٨١.

(٥) السابق، ص ٨١.

(٦) فوزي الشايب، الماضي المجرد ومسألة البناء على الفتح، ص ١٢٩.

(٧) ويعزز هذا الرأي تحول ياء المضارعة في اللهجات العامية -عندما تسبق بباء الحال في مثل: (بكتب، biktib)، أي يكتب الآن -إلى كسرة طويلة تقصر بعد ذلك إلى كسرة قصيرة، إذ ربما تطور كل من الفتحة (a-) في الماضي والياء (ya-) في

وقد طورت العربية واللغات السامية لاحقة ضميرية للغائبة عن طريق إضافة تاء التأنيث (ـت) للاحقة الغائب (-a) لتصبح (-تْ، -at) التي تطورت في الآرامية والعبرية قبل ضمير النصب المتصل إلى (-at)[1]، ثم تحولت الأخيرة إلى (-ah)، التي تحولت إلى (-ā)[2] وهو ما يرد في العبرية -الفينيقية قياسًا على تاء التأنيث في الأسماء[3]. وربما يكون تحول (at) إلى (-ā) كان بتأثير من ضمير الغائبة المنصوب والمجرور (هـا، hā) الذي لا يزال أصل الألف فيه مجهولا، وربما كان العكس هو الصواب.

كما طورت العربية واللغة الأوغاريتية[4] -منفردتين عن اللغات السامية- لاحقة ضميرية خاصة بالمثنى، عن طريق إطالة الفتحة (-a)، لاحقة المفرد الغائب، لتصبح (-ā) ألفا، وهي عينها لاحقة العدد التي لحقت بالضمائر المنفصلة والمتصلة، غير أنها هناك دالة على العدد فقط لقيام دوال أخرى بالدلالة على الشخص، أما في اللواحق الضميرية للغائب فهي لاحقة تدلُّ على العدد والشخص وكذلك التذكير - من خلال انعدام دال الجنس-، وعلى الرغم من أن العربية لم تفرّق في الجنس في ضمائر التثنية متصلة أم منفصلة؛ إلا أنها فرقت في اللواحق الضميرية، إذ نجدها تستخدم التاء للمؤنث في كل من الماضي (-تا، -atā) والمضارع (تـ-ا، ta-ā)، ويظهر ذلك أيضًا في الأوغاريتية -وإن كانت الكتابة الأوغاريتية لا تظهر لاحقة ضميرية لمثنى المذكر بسبب عدم كتابتها للصوائت[5]- مما يرجح أن التفريق في الجنس يرقى إلى زمن أبعد من زمن ترك التفريق في الضمائر.

واستعملت العربية الواو (-ū) للدلالة على جميع الغائبين، والنون (-na) للدلالة على جميع الغائبات، غير أن علماء الساميات اختلفوا في تحديد أصل هاتين اللاحقتين

المضارع عن الكسرة الممالة (e) التي يرى برجشتراسر أنها كانت موجودة في السامية الأم (التطور النحوي، ص ٥٤) بتحولها في الماضي إلى فتحة خالصة وفي المضارع إلى كسرة خالصة تحولت فيما بعد إلى شبه حركة (y).

(١) بروكلمان، فقه اللغات السامية، ص ١١٨، وانظر صفحة ٩٦.

(٢) Wright, W., Lectures on the Comparative Grammar of the Semitic Languages, p. 167.
وهو ما يظهر كتابة في العبرية دون النطق في مثل (שָׂמָה ، وضعت) التي تنطق (śāmā) رمزي بعلبكي، المقايسة في صيغ الضمائر العربية والسامية، ص ٤٦ . وانظر فوزي الشايب، الماضي المجرد ومسألة البناء على الفتح، ص ١٢٧، حاشية.

(٣) بروكلمان، فقه اللغات السامية، ص ١١٨، وانظر رمزي بعلبكي، المقايسة في صيغ الضمائر العربية والسامية، ص ٤٦.

(٤) رمزي بعلبكي، المقايسة في صيغ الضمائر العربية والسامية، ص ٤٤-٤٥.

(٥) السابق، ص ٤٤-٤٥.

الضميريتين، فذهب وليم رايت -منفردًا- إلى أن صيغة جمع الغائبين (فعلو، faʿalū) ما هي إلا تطور للأصل السامي الأقدم (فعلون، faʿalūna) الذي لا يزال محتفظا به في الاستعمال، في مثل (יְדָעוּן)[1]، كما تظهر أيضًا في الصيغة الآرامية (קטלון، ܩܛܠܘܢ)، وتظهر أيضاً في الآشورية (katlūni) جنبًا إلى جنب مع الصيغة (katlū)، غير أن هذه النون الانتهائية سقطت كما سقطت من الأسماء -نون التنوين ونون جمع المذكر السالم- في حالة الإضافة، وقد شاع سقوطها في غير لغة من اللغات السامية، فكانت الصيغة السائدة في العربية هي :(fáʿalū)، وفي الحبشية (faʿálū)، وفي العبرية (קָטְלוּ)، وفي الآرامية (קְטַלוּ)[2].

ويتفق مع رأي رايت السابق ما ذهب إليه سيس Sayce، حيث عدّ الألف الفارقة في العربية في مثل: (فعلوا)، والتي تظهر ايضاً في العبرية في مثل :(הָהֶלְכוּא)[3]، تعبيرا كتابيًا للنون الأصلية[4]. ورغم اعتراض رايت على هذا الرأي ووصفه بخطأ فاحش ارتكبه سيس[5]، إلا أن ثمة جدة في ذلك، وهي محاولة سيس إيجاد علاقة ما بين الألف في الرسم الكتابي وبين النون، خصوصًا أن هذه الألف لا تظهر إلا في غياب النون[6].

كذلك رأى رايت الرأي نفسه في اللاحقة الضميرية لجمع الغائبات، فذهب إلى أن الصيغة الأقدم هي: (*فعلان، faʿalāna*)، وأن الصيغة العربية (فعلْن، faʿalna) ما هي إلا انكماش أو اختزال لتلك الصيغة[7]، التي خرجت من الاستعمال في اللهجات العامية. وفي مقابل ذلك قامت بعض اللغات السامية بإسقاط هذه النون كالحبشية وآرامية التوراة[8].

---

(١) التثنية، الإصحاح ٨، العدد ٣، والعدد ١٦.

(٢) Wright, W. Lectures on the Comparative Grammar, p. 168.

(٣) يوشع، الإصحاح ١٠، العدد ٢٤.

(٤) Wright, W. Lectures on the Comparative Grammar, p. 168.

(٥) السابق.p.168

(٦) وربما يكون شبيها بذلك كتابة تنوين الفتح ألفًا في مثل: (كتابًا) وكذلك الوقوف على نون التوكيد في المفرد بالألف في مثل: (افعلا)، وكذلك كتابة النون ألفًا في (نسفعًا) في القرآن الكريم (العلق: ١٥).

(٧) اثبت ناشر كتاب رايت الملاحظة التالية حول رأي رايت في أصل النون: "يبدو من آثار الشطب في مخطوطة الكتاب، أن الأستاذ رايت كان مترددًا بين هذا الرأي ورأي نولدكه القائل بأن (فعلْن) العربية صيغة قياسة لصيغة المضارع (يفعلْن)."
Wtight, W. Lectures on the Comparative Grammar, p. 169.

(٨) السابق. p.l 69

وفي مقابل ما ذهب إليه رايت فيما سبق، نجد نولدكه، و ج. هوفمان[١]- ويتفق معهما في ذلك بروكلمان[٢]، وأوليري[٣]، وموسكاتي[٤]- ينكران ما ذهب إليه رايت، ويريان أن الأصل ينبغي أن يكون (فعلو، fa^{c}alū)، وقد فسرا اللواحق:(-ūn)، و(-ān)، و(-ēn)، بأنها إضافات ضميرية متأخرة (حديثة)، تماماً كما حدث في (katabum) في العامية المصرية، وهي تفسر عندهم بأنها اختزال لـ (katabū + hum)[٥]، ويقول بروكلمان في ذلك: "**في الجمع تنتهي صيغة الغائبين بالنهاية: (ū)، التي سقطت في السريانية، حسب القوانين الصوتية، ثم عوض فيما بعد، ببناء جديد مقيس على الضمير، وهو مثل (qaṭálūn:). وتنتهي صيغة جمع الغائبات، أصلاً بالنهاية (ā) التي لا تزال موجودة في الحبشية وآرامية العهد القديم، وقبل ضمير النصب في السريانية، في حين سقطت من الآخر غير المتصل بشيء، ثم عوضت فيما بعد ببناء جديد مقيس على الضمير، وهو مثل (qaṭálēn). وفي العربية عوضت (ā) قياسًا على المضارع، بالنهاية (na). وفي العبرية فقدت (ā) إلا في أمثلة قليلة غير مؤكدة، ونابت عنها صيغة المذكر**"[٦].

وسواء أأخذ برأي رايت أم برأي غيره فإن الفريقين يجمعان على أن لاحقة جمع الغائبات تبدأ بالصائت (ā)، وهي لذلك لاحقة حركية يصدق عليها ما سبق أن أشارت إليه الدراسة من أن لواحق الغياب هي لواحق حركية دائمًا، ونجد حركية هذه اللاحقة واضحة في بعض الاستعمالات اللهجية في مثل (fa^{c}alan) في جنوب فلسطين، ومثل: (fa^{c}alen) في لهجة بلاد الشام بعامة، وتبدو الأخيرة متأثرة -من حيث الإمالة- بالسريانية.

---

(١) السابق.p.170.

(٢) بروكلمان، فقه اللغات السامية، ص١١٨.

(٣) O`leary: Comparative Grammar of the Semitic Lang. P. 243.

(٤) Moscati: An Introduction to the Comparative Grammar, pp. 139-140.

(٥) Wright. W. Lectures on the Comp. Gr. P. 169 .

وهو ما ذهب إليه أ وليري (.p. 243) في تفسير الميم ،غير أن رمزي بعلبكي ذهب إلى أن هذه الميم "نشأت قياساً على الميم في ضمير الغائبين المنفصل (humma) والمتصل (-hum)" وهو بالتالي لا يرى أن هذه الميم اختزال للضمير كما ذهب نولدكه وغيره.(المقايسة في صيغ الضمائر العربية السامية ص ٤٨)

(٦) بروكلمان، فقه اللغات السامية، ص١١٨. وانظر المعنى ذاته في

Moscati: An Introduction to the Comparative Grammar. p. 140

اللواصق الضميرية في الفعل المضارع

سارت اللغات السامية في إلصاق الفعل المضارع [غير التام] وفق نهج مغاير لما سارت عليه في الفعل الماضي؛ إذا عملت على توزيع لاصقة الفعل الماضي على طرفي الفعل المضارع، حيث أضافت إلى بدايته سوابق دالة على الشخص، وإلى نهايته لواحق دالة على العدد والجنس[١] -يستثنى من ذلك الفعل المضارع المسند إلى الغائبة والغائبتين إذا كان دال الجنس في مقدمة الفعل المضارع حالاً محل دال الشخص-فكانت سوابق الفعل المضارع -دوال الشخص- منحوتة من الضمائر المنفصلة[٢]، إذ من الواضح أن السوابق الضميرية في الفعل المضارع باستثناء سابقة الغياب (-ya) "**ذات علاقة بالضمائر المنفصلة إن لم نقل إنها مشتقة منها**"[٣] فهمزة المتكلم (-ʾa) في المضارع هي عينها الهمزة الانتهائية في (أنَأ← أنَا) (ʾanā ← *ʾanʾa)[٤] ونون المُتكلمين (-na) لها علاقة واضحة بضمير المتكلمين المنفصل (نحْنُ) والمتصل (نا)، وكذلك تاء الخطاب التي تظهر في أوائل الفعل المضارع هي مشتقة من ضمائر الخطاب المنفصلة (أنت) و(أنتم)... إلخ. أما في حالة الغياب فتبدو العلاقة بين الضمائر المنفصلة وسابقة الفعل المضارع (-ya) غير واضحة، وبالإضافة إلى محاولة وليم رايت الربط بين هذه الياء وفتحة الماضي[٥]، حاول خالد إسماعيل علي أن يقدم تفسيرًا لذلك بأن اللغات السامية -عدا السريانية- استعملت الهمزة المكسورة بدلاً من الهاء دفعا للالتباس بالأصول التي تبدأ بحرف الهاء، ومن ثم قلبت هذه الهمزة المكسورة ياءً في سائر اللغات[٦]. وأجمعت اللغات السامية على استعمال

---

(١) هنري فليش، العربية الفصحى ص١٣٠.

(٢) السابق، ص١٣٠. ورمزي بعلبكي، المقايسة في صيغ الضمائر، ص ٥١.

(٣) رمزي بعلبكي، المقايسة في صيغ الضمائر، ص ٥١.

(٤) السابق ص٥١، وانظر الحديث عن ضمير المتكلم المفرد فيما سبق من هذه الرسالة.

(٥) فوزي الشايب، الماضي المجرد ومسألة البناء على الفتح، ص١٢٩ وانظر الحديث عن فتحة الماضي في اللواحق الضميرية مع الماضي فيما سبق من هذا الفصل.

(٦) خالد إسماعيل علي، حول ضمير الغائب في الآرامية الشرقية، ص١٦٦.

الياء (-ya) سابقة دالة على الغياب في الفعل المضارع مما يعني أن الياء هي الأصل السامي المشترك[١]، باستثناء اللغة السريانية التي استبدلت النون (-ne) بالياء (-ya)، وهو نهج غريب قدّم له الباحثون التفسيرات التالية:

أ- أنها لام في الأصل، شبيهة بلام الأمر في العربية[٢]، وشبيه بذلك رأي بروكلمان القائل بأن ذلك مردُه "**إلى دخول لام التعليل على المضارع المبتدئ بالياء أصلاً، واقترانها بالأفعال الشائعة في الاستعمال، وقلب هذه اللام إلى نون مكسورةٍ، ثم إجرائها مجرى حرف المضارعة على سائر الأفعال الأخرى**"[٣].

ب- أنها عنصر إشاري كياء المضارعة نفسها ويأخذ بارث بهذا التفسير ويعززه بذكر أدوات تجيء النون فيها عنصرًا إشاريًا نحو (-ʾy-na) العربية و (-de-n) السريانية[٤].

جـ- أنها جاءت قياسًا على نون المتكلمين (-ne) في السريانية، وشبيه به استعمال النون بدلاً من الهمزة للمتكلم المفرد قياسًا على المتكلمين[٥].

د- ويرى خالد إسماعيل علي "**أن الآراميين الشرقيين فضلوا استعمال النون للبدء بالمضارع للغائب بدلاً من الهاء [الواردة في الضمير المنفصل] دفعًا للالتباس بالأصول التي تبدأ بحرف الهاء**"[٦].

وفي الآشورية تحوّلت هذه الياء (-ya) إلى كسرة خالصة (-i) حسب القوانين الصوتية[٧]. وهو ما يظهر في اللهجات العربية في العراق وسوريا وتونس[٨].

أما الصائت التالي لحروف المضارعة فهو كما يرى الباحثون فتحة (a) في الأصل كما في العربية والأكدية[٩] وتقلب هذه الفتحة إلى كسرة (-i-) في الأفعال اللازمة مفتوحة العين

---

(١) رمزي بعلبكي، المقايسة في صيغ الضمائر العربية والسامية ، ص٤٩.

(٢) السابق، ص ٤٩.

(٣) بروكلمان نحو اللغة السريانية، ص ٨٤، هامش ١، نقلاً عن (خالد إسماعيل علي، حول ضمير الغائب في الارامية الشرقية، ص ١٦٤).

(٤) رمزي بعلبكي، المقايسة في صيغ الضمائر العربية والسامية، ص ٤٩.

(٥) السابق، ص ٤٩-٥٠.

(٦) خالد إسماعيل علي، حول ضمير الغائب في الآرامية الشرقية، ص ١٦٦.

(٧) بروكلمان، فقه اللغات السامية، ص ١١٦.

(٨) O'leary, comparative Grammar of the Semitic Languages, p. 245.

(٩) رمزي بعلبكي، المقايسة في صيغ الضمائر العربية والسامية، ص ٥١؛ بروكلمان، فقه اللغات السامية، ص ١١٦.

بسبب ما يسمى: (التحول الحركي) (Ablaut) غير أن الفتحة عادت إلى الظهور مطلقا في العربية، وتظهر الكسرة في اللهجات. وفي العبرية والآرامية والحبشية ظهرت الكسرة (-i-)أو الكسرة الممالة (-e-) مطلقا، إلا في حالات نادرة عادت الفتحة إلى الظهور كما في (yaḥboš يربط) في العبرية بسبب الحرف الحلقي (-ḥ-) الحاء[١]. ويرى رمزي بعلبكي أن الفتحة (-a-) "**تحولت إلى (-i-) لأنها وقعت في مقطع قصير مغلق غير مضغوط**"[٢]، وذهب رمضان عبد التواب إلى عكس ذلك قائلاً: "**الفتح في أحرف المضارعة حادث في رأيي في العربية القديمة؛ بدليل عدم وجوده في اللغات السامية الأخرى، وبدليل ما بقي من الكسر في بعض اللهجات العربية القديمة. وهناك دليل ثالث، على أصالة الكسر في حروف المضارعة، وهو استمراره حتى الآن في اللهجات العربية الحديثة كلها؛ إذ نقول مثلاً: (مين يقرا ومين يسمع) بكسر حرف المضارعة، في لغة التخاطب اليومية. ولم يبق فتح حرف المضارعة في اللهجات الحديثة، فيما أعلم، إلا في لهجة نجد، إذا كانت فاء المضارع ساكنة، مثل يَرْمي**"[٣]، وبقيت آثار ذلك في الفصحى؛ إذ يكسر حرف المضارعة في (إ خال)[٤]، ويطلق عبد التواب على هذه الظاهرة (الركام اللغوي للظواهر المندثرة في اللغة)[٥].

ولجأت اللغات السامية إلى وضع دال الجنس (-ta) في صدر الفعل في حالة الغائبة مسقطة بذلك دال الشخص، وقاست العربية على ذلك المثنى المؤنث الغائب (تفعلان) وفي العبرية امتد استعمال هذه التاء إلى جمع الغائبات وهو ما نجده أيضًا في الأجريتية بالإضافة إلى جواز استعمالها في الأخيرة في المثنى المذكر والمؤنث وجمع الذكور أيضًا[٦]. ويبدو أن الأصل استعمال التاء للغائبة ثم قيس عليها المثنى والجمع في هذه اللغات[٧]، لذلك رأى موسكاتي أن استعمال التاء للغائبة هو الأصل السامي الأقدم[٨]، في

---

(١) بروكلمان، فقه اللغات السامية، ص ١١٦.

(٢) رمزي بعلبكي، المقايسة في صيغ الضمائر العربية والسامية، ص ٥١.

(٣) رمضان عبد التواب، فصول في فقه العربية، ص ١٢٥.

(٤) السابق، ص ١٢٥.

(٥) السابق، ص ١٢٦.

(٦) رمزي بعلبكي، المقايسة في صيغ الضمائر العربية والسامية، ص ٥٠.

(٧) السابق، ص ٥٠.

اللغات[١]، لذلك رأى موسكاتي أن استعمال التاء للغائبة هو الأصل السامي الأقدم[٢]، في حين "يرى Gray **أن تاء الغائبة السابقة على المضارع مقيسة على تاء التأنيث في الأسماء وعلى التاء التي تلحق بالفعل الماضي في صيغة الغائبة نحو: كَتَبَت**"[٣]، ويرى هنري فليش أن هذه التاء "**ليست سوى علامة للتأنيث**"[٤]، وهناك من يرى "**أن تاء الغائبة جاءت قياسًا على تاء المخاطب والمخاطبة**"[٥]، ويذهب رمزي بعلبكي إلى تضعيف هذه الآراء جميعًا[٦].

أما لواحق الفعل المضارع فهي دوال على العدد، كألف التثنية، أو واو الجماعة، وربما كان دال العدد دالاً صفريًا كما في حالة المفرد المتكلم أو المتكلمين والغائب المفرد والغائبة، والمخاطب المفرد، أو هي -أي لواحق الفعل المضارع- دوال على الجنس كياء المخاطبة، أو دوال على العدد والجنس معًا كنون النسوة. وهذه اللواحق جميعها هي عينها التي دخلت على الفعل الماضي بعد إسقاط دال الشخص منها ووضعه في بداية الفعل المضارع، وقد سبق الحديث عنها في لواحق الفعل الماضي فلا حاجة إلى تكراره هنا.

ومما يُلحق بالفعل المضارع النون الانتهائية (-na) التي تلحق بالأفعال المسندة إلى الغائبين والمخاطبين والمخاطبة، والمثنى في العربية، وهي مجموعة الأفعال المسماة عند النحاة العرب (بالأفعال الخمسة). وقد توقف الباحثون عند لاحقة المخاطبة (-īna) فرأى وليم رايت أن أصلها غامض[٧]، بينما رأى باحثون آخرون أن الأصل هو الياء (-ī-) وأن النون جاءت قياسًا على الجمع (-ūna)[٨]، ويرى هنري فليش أن "**الكسرة الطويلة (ī) التي هي علامة المؤنثة المفردة موجودة أيضًا في الضمير الشخصي المنفصل (أنتِ ʾanti)**

---

(١) السابق، ص ٥٠.

(٢) Moscati: An Introduction to the Comparative Grammar, p. 143;
وهو ما يفهم من كلام بروكلمان أيضًا، فقه اللغات السامية، ص ١١٦.

(٣) رمزي بعلبكي، المقايسة في صيغ الضمائر العربية والسامية، ص ٥٠، هامش ١٥٤.

(٤) هنري فليش، العربية الفصحى، ص ١٣٠، هامش١.

(٥) رمزي بعلبكي، المقايسة في صيغ الضمائر العربية والسامية، ص ٥٠.

(٦) السابق، ص ٥٠.

(٧) Wright, W. Lectures on the Comparative Grammar, p. 185.

(٨) السابق، p. 186.

(وقد كان قديما أنتي *anti ⊃)"، فهي بقية من مخلفات اللغة القديمة"[١]. غير أن رمزي بعلبكي يقول في هذه النون "هناك احتمالان في هذا الأصل، الأول أن النون أصلية ولكنها سقطت في الأكدية والعبرية والحبشية، والثاني أنها مزيدة في العربية والسريانية والأوجاريتية"[٢]. غير أنه يعود فيقول "ينبغي التوقف في أمر هذه النون التي لا يعرف أصلها معرفة ثابتة فهذا أفضل من الأخذ بالافتراضات البعيدة"[٣].

وأخيرًا من الضروري التنبيه على أن سابقة الفعل المضارع ولاحقته تشكلان معًا لاصقة ضميرية واحدة[٤]، إذ باجتماعهما تكتمل عناصرها الدلالية: الجنس والعدد والشخص. أما في فعل الأمر فإن اللغات السامية ومنها العربية، أُسقطت دوال الشخص من هذه الأفعال مكتفية بخصوصية الأمر للمخاطب في حين أبقت لواحق الفعل المضارع كما هي باستثناء النون التي سقطت، كما تسقطها العربية في المضارع المنصوب والمجزوم، وكما تسقطها آرامية العهد القديم في حالة الجزم[٥].

---

(١) هنري فليش، العربية الفصحى، ص ١٣١.

(٢) رمزي بعلبكي، المقايسة في صيغ الضمائر، ص ٥٢.

(٣) السابق، ص ٥٢.

(٤) عبد القادر الفاسي الفهري، اللسانيات واللغة العربية، ج٢، ص ١١٤، حيث يقول: "إلصاق الفاعل بالفعل يختلف باختلاف جهة الفعل (aspect) مع الماضي تكون اللاصقة (affix) إلحاقًا (suffiixation) ومع المضارع هناك لاحقة متقطّعة (discontinous) تصديرًا بالأساس وأيضًا إلحاقًا".

(٥) بروكلمان، فقه اللغات السامية، ص ١١٧.

الفصل الثاني

أثر الإلصاق الضميري في بناء الجملة العربية

أثر الإلصاق الضميري في بناء الجملة العربية

لا يبدو هناك خلاف بين النحاة قدماء ومحدثين، حول اسمية الضمائر المنفصلة[١] أو ضمائر النصب والجر . بيد أن الخلاف تركز حول ما يسمى في النحو العربي بضمائر الرفع المتصلة[٢] لما ينتجه ذلك من أثر في عملية الإسناد. ومما أبرز هذه الظاهرة إلى حيز الوجود محاولة تخريج ما عرف بلغة (أكلوني البراغيث)، فذهب "**أبو عثمان المازني وغيره من النحويين إلى أن الألف في: (قاما)، والواو في:(قاموا)، حرفان يدلان على الفاعِلَيْن والفاعِلِيْنَ المضمرين والفاعل في النية، كما أنك قلتَ: زيد قام، ففي (قامَ) ضمير في النية وليست له علامة ظاهرة، فإذا ثنى أو جمع، فالضمير أيضًا في النية، غيرأن له علامة**"[٣]. ودفع ابن يعيش هذا الرأي بأنك: "**إذا قلتَ: (الزيدان قاما)، فالألف قد حلت محل أبوهما إذا قلتَ: (الزيدان قامَ أبوهما)، فلما حلت محل مالا يكون إلا اسمًا وجب أن تكون اسمًا**"[٤]، وهذا الاستدلال يبطله القول بأن الفتحة الانتهائية في الفعل الماضي (فعَل) (a) لاصقة ضميرية مثلها في ذلك مثل ألف الاثنين وواو الجماعة وياء المخاطبة ونون النسوة، وهو ما تبنته الدراسة فيما سبق. ولو سلمنا بأن الألف هنا مساوية نحويًا للاسم الظاهر (أبوهما) فإنه يفترض أن يكون الفعل قبل الألف وقبل الاسم الظاهر في حالة نحوية وصوتية واحدة، غير أن التحليل للجملتين السابقتين يفيد غير ذلك:

أ- الزَيْدان قاما — ʾazzaydāni qām – ā

ب- الزَيْدان قامَ أبوْهُما — ʾazzaydāni qām - a ʾabūhumā

فالفعل في الأولى (قامْ qām)، وفي الثانية (قام qāma) بوجود الفارق بينهما وهو الدال (a-)، من ذلك، فإن الاستدلال بحلول هذه اللواصق محل الاسم الظاهر استدلال تنقصه الدقة

---

(١) يستثنى من ذلك الخلاف حول اسمية ضمير الفصل.

(٢) لا يدور الخلاف بين القدماء إلا حول اسمية الضمائر المتصلة للغائب (انظر ، شرح المفصل، ج٣، ص٨٧)، أما ضمائر الرفع المتصلة للتكلم والخطاب فيرى بعض المحدثين أنها جميعًا ليست إلا علامات، وهو ما تبناه مجمع اللغة العربية في القاهرة، انظر محمد عبدالله جبر ، الضمائر في اللغة العربية، ص٢١٣.

(٣) ابن يعيش، شرح المفصل، ج٣، ص٨٨.

(٤) السابق، ج٣، ص٨٨.

العلمية. لذلك ترى هذه الدراسة أن ألف الاثنين وواو الجماعة وياء المخاطبة ونون النسوة من الفصيلة ذاتها التي تنتمي إليها اللاصقة الضميرية للمفرد (a) ليجوز تبادل الموقعية فيما بينهما، وبما أن لواصق التكلم والخطاب تتبادل الموقعية مع هذه الفتحة (a) كما في:

فعلَ fa^{c}al-a فعلْتُ fa^{c}al-tu

فإنها أيضًا تنتمي إلى الفصيلة النحوية ذاتها، إذ من الخطأ القول :" **إنّ اللاصقة التي تحمل سمات العدد والشخص، على الخصوص، تحمل أيضًا سمة حم [الحمل]، وتتصرف أساسًا تصرف الضمير. أما اللاصقة التي تضم صفة الجنس فقط، فليست ضميرية**"[١]، إذ ينبني وجود الضمير على أسس إحلالية، يقول برسلي: "**جاءت الضمائر لتعويض الأسماء ولتحلّ محلها**"[٢] فضمائر الغياب جاءت لتحل محل الاسم الظاهر، وضمائر التكلم والخطاب جاءت لتعويض الاسم الظاهر.

بيد أن القول بعدم اسمية اللاصقة الضميرية يؤدي بالضرورة إلى محاولة إعادة ترتيب الجملة الفعلية العربية من جديد، وينبغي على هذه الترتيب أن يظهر الموقعية التي تحتلها هذه اللواصق على الخط الأفقي للجملة، إذ إن الاكتفاء بالقول إنها علامة تطابق -كما درج على ذلك المحدثون- أو حروف مضارعة- في لواصق المضارع- لا يعدو أن يكون بيانا للنوع التصريفي لهذه الدوال دون بيان لموقعها النحوي في خط الجملة.

فقد بنت العربية الجملة الفعلية على ركني الإسناد، الفعل والفاعل، بالإضافة إلى الرابط بينهما وهو اللاصقة الضميرية، ففي الإسناد إلى الغائب كان الأصل السامي القديم إجراء التطابق في العدد والجنس دون النظر إلى التطابق في الشخص بإعتبار "**الأسماء الظاهرة كلها موضوعة للغيبة مطلقًا**"[٣]، وهذا التطابق في العدد والجنس ما تثبته الدراسة السامية المقارنة[٤]، من ذلك ما ورد في نقش السلوان العبري، وهو نقش يرجع إلى حوالي سنة ٧٠٠ ق. م إذ جاء فيه[٥]:

---

(١) عبد القادر الفاسي الفهري، اللسانيات واللغة العربية، ج٢، ص١٣٢.

(٢) صالح الكشو، مدخل في اللسانيات، ص٨٧.

(٣) الأستراباذي، شرح الكافية، ج٢، ص٣.

(٤) رمضان عبد التواب، بحوث ومقالات في اللغة، ص٦٩.

(٥) ولفنسون، تاريخ اللغات السامية ص٨٢-٨٣.

וילכו המים

وترجمتها الحرفية: وساروا المياه

ومن ذلك أيضًا ما ورد في التوراة في سفر التكوين الإصحاح الثاني العدد الأول:

וַיְכֻלּוּ הַשָּׁמַיִם וְהָאָרֶץ

wayyekuilū haššamāyim weha ʾareṣ

وترجمتها الحرفية: فاكتملوا السموات والأرض

وقد ورد ذلك في غير موضع من التوراة[١]، كما ورد في غير نص آرامي وسرياني وحبشي[٢].

وساعد التطور اللغوي للشعوب السامية على التخلص من فكرة المطابقة بين الفعل والفاعل، ويبدو أن هذا ما عمدت إليه اللغة السامية الأم قبل افتراق الشعوب السامية، إذ ورثت اللغات السامية آثار هذا التطابق في بعض استعمالاتها، وهو ما ظهر أيضا في العربية الفصحى، إذ نسب استعمال هذا الأسلوب إلى قبيلة طيّئ وأزدشنوءة[٣] وبني الحارث بن كعب[٤]، وقد لاحظ دارسو اللغة ذلك منذ بدايات الدرس النحوي يقول سيبويه: "**اعلم أن من العرب من يقول: ضربوني قومك، وضرباني أخواك، فشبهوا هذا بالتاء التي يظهرونها في قالت فلانة، وكأنهم أرادوا أن يجعلوا للجمع علامة كما جعلوا للمؤنث علامة**"[٥] فسيبويه وإن كان لم يثبت الضميرية للألف والواو فهو أيضًا لم يُخطّئ هذا الأسلوب، وعلق ابن يعيش على هذه الظاهرة قائلا: "**وهي لغة فاشية لبعض العرب كثيرة في كلام العرب وأشعارهم**"[٦] في حين درج المتأخرون على اعتبار هذا الاستعمال خروجًا على سنن العربية محاولين قدر

---

(١) انظر سفر التكوين ١:٩،٢٠/٦:٢،٤/٧:١٨،١٩،٢٠/٨:٢،٣،١٣ وسفر روث ١:٥ وسفر المزامير ١:٥. وغير ذلك من المواضع.

(٢) انظر نقش (بوركب) السطر ١٤، ولفنسون، تاريخ اللغات السامية ص١٢٠ ورمضان عبد التواب، بحوث ومقالات في اللغة ص٦٩، ومحمد عبدالله جبر، الضمائر في اللغة العربية، ص١٧٤-١٧٥.

(٣) خالد الأزهري، شرح التصريح على التوضيح، ج١، ص٢٧٥. وانظر ابن هشام، المغني، ص ٤٧٨-٤٧٩ (مازن المبارك)، ج٢، ص ٣٦٥، (عبد الحميد).

(٤) ابن عقيل، شرح ابن عقيل، ج١، ص٤٦٨. وانظر السابق (المغني).

(٥) سيبويه، الكتاب، ج٢، ص٤٠.

(٦) ابن يعيش، شرح المفصل، ج٣، ص٨٧.

المستطاع منع تأويل آي القرآن الكريم[١] وفق هذا الاستعمال كابن هشام الأنصاري الذي كان يرى تأويل آي القرآن الكريم على غير هذه اللغة أولى لضعفها[٢]، وبالغ بعض المحدثين في تخطئة هذا الاستعمال فقال: "**أما شواهد الشعر التي جاءت على هذه اللغة فالوجه الذي لا يجوز غيره أن ألف الاثنين وواو الجماعة ونون النسوة فيها حروف دالة على التثنية والجمع ... وأما القرآن الكريم فقد غلط من أجاز أن يكون بعض آيه قد جاء على هذه اللغة**"[٣]. في حين يرى كثير من المحدثين وتتابعهم هذه الدراسة، أن هذا الأسلوب ليس بدعا ابتدعته العربية بل هو أصل ساميٌ قديم سارت عليه وفق ما سار عليه غيرها من اللغات السامية، ونسبة ذلك إلى بعض آي القرآن الكريم أو الحديث الشريف أو أشعار العرب لا يضير العربية في شيء[٤] .

ثم عمدت اللغات السامية إلى تعميم أسلوب الإفراد مع الفاعل، وهو مانجد هذه اللغات عليه اليوم، وهو أيضا ما سارت عليه العربية في نهجها العام، وقد تطلب ذلك إجراء تغيير في نظام الجملة السامية والعربية الداخلي.

فإذا كان بناء الجملة الداخلي على النحو التالي:

فعل +	[لاحقة ضميرية مطابقة]+	فاعل
مسند +	رابط +	مسند إليه

فقد تحول إلى البناء التالي:

فعل +	[لاحقة ضميرية مفردة]+	فاعل
مسند +	رابط +	مسند إليه

---

(١) من الآيات التي جاءت على هذه اللغة "**وأسَرّوا النّجْوى الذين ظلَمُوا**". الأنبياء:٣، وقوله" ثُمّ عمُوا وصمّوا كثيرٌ منهم" المائدة:٧١ انظر ابن يعيش شرح المفصل، ج٣، ص٦٩، وابن هشام، مغني اللبيب، ص٤٧٨-٤٧٩ (مازن المبارك)، و ج٢، ص٣٦٥ (عبد الحميد).

(٢) ابن هشام الأنصاري، شذور الذهب، ص١٧٩.

(٣) محمد الدالي، لغة أكلوني البراغيث، ص٤١٠-٤١١.

(٤) من المحدثين الذين يرون هذا الرأي: إبراهيم مصطفى في (تحرير النحو) وعبد العليم عبدالله في (الاتجاهات الحديثة في النحو) وعباس حسن ومحمد محي الدين عبد الحميد في (البحوث والمحاضرات للدورة الخامسة والثلاثين ص٥٣-٦٥، لمجمع اللغة العربية، القاهرة) ورمضان عبد التواب في (بحوث ومقالات في اللغة) وخليل عمايرة في (اراء في الضمير العائد ولغة أكلوني البراغيث) ومحمد عبدالله جبر في(الضمائر في اللغة العربية).

وفي هذا التغير تم تعميم لاصقة المفرد (المذكر / المؤنث) على جميع الحالات الأخرى مما يعني تفريغ لاصقة المفرد هذه من محتواها الدلالي، وهو ما تطلب وجود نوعين من اللواصق هي:

أ- لواصق ضميرية مكتملة الإحالة.

ب- لواصق ضميرية مُفرَغة دلاليا (لاصقة المفرد).

غير أن اللاصقة المفرغة، وإن فقدت محتواها الدلالي، فإنها بقيت تقوم بدورها الشكلي- النحوي على مستوى التركيب الجملي، كما لو كانت مكتملة الإحالة. فلو قمنا بتحليل الجمل التالية:

-جاءوا الرجالْ . (وفق أسلوب المطابقة)

- جاء الرجالْ . (وفق أسلوب الإفراد)

-جئن النساءْ . (وفق أسلوب المطابقة)

-جاءت النساءْ . (وفق أسلوب الإفراد)

فإن (الرجال، النساء) في الحالين هما المسند إليهما واللواصق الضميرية ما هي إلا أدوات ربط بين المسند والمسند إليه شبيهة بالضمير الرابط بين المبتدأ والخبر ، غير أنها في حالة التطابق تكون لواصق ضميرية مكتملة الإحالة وفي حالة الإفراد تكون لواصق ضميرية مفرغة وبالتالي فهي لواصق عامة يجوز استعمالها في حالات الإسناد الفعلي جميعها (الإفراد والتثنية والجمع).

أما إذا لم يذكر المسند إليه بسبب تقدم ذكره أو دلالة الحال أو السياق عليه فإن هذه الجمل تصبح:

-جاءوا ∅

-* جاء ∅ (دالة على الجمع)

- جئن ∅

-* جاءت ∅ (دالة على الجمع)

من ذلك تصبح الجملتان (* جاء،* جاءت) جملتين غير قواعديتين إذ يجب على اللواصق الضميرية فيهما أن تكون مكتملة الإحالة. من ذلك نستطيع وضع القيد التالي على استعمال اللاصقة الضميرية المفرَغة دلاليا:

لا يجوز استعمال اللاصقة الضميرية المفرغة دلاليا إلا إذا وليها الاسم الظاهر[١].

ويكون الإسناد في الجملتين الأخريين إسنادًا ناقصًا يتكئ على العنصر الفارغ (أو الضمير المفرّغ empty pronoun) وهو ما عبّر عنه النحاة العرب بالضمير المستتر[٢].

أما في أمثلة من النوع:

- الرجال جاءوا .
- محمد جاءَ .

فإن الاسم الظاهر هنا يقع خارج نطاق الجملة وفق ما رآه النحاة العرب (على اعتباره مسندا إليه في جملة أكبر) أو هو في موقع البؤرة وفق ما يراه اللسانيون المحدثون[٣]، وبالتالي فإن لها التحليل التالي:

---

(١) أما في حالات الإفراد في مثل: (جاءَ محمد، وجاءَ ∅) فإن اللاصقة الضميرية في الأولى مفرغة من محتواها الدلالي بينما في الثانية مكتملة الإحالة، وهذا لا يمنع أن تكون في الأولى مكتملة الإحالة على لغة (أكلوني البراغيث). وهذا ناتج من خصوصية لاصقة المفرد.

(٢) لم يدرك مفهوم الضمير المستتر كثيرون، إذ ذهبت الدعوات إلى إسقاط هذا المفهوم من الدراسة النحوية العربية؛ فكان أول من بدأ هذه الدعوات ابن مضاء القرطبي في كتابه الرد على النحاة ص ٨٨-٩٠، وأخذ بهذه الدعوة عدد من المحدثين منهم مهدي المخزومي ومحمد سالم الجرح، وعبد الرحمن أيوب وتمام حسان ومحمد عبد الله جبر (انظر محمد عبد الله جبر الضمائر في اللغة العربية، ص ١١٣-١١٤). وفوزي الشايب (الماضي المجرد ومسألة البناء على الفتح، ص ١٢٥)، وغيرهم. في حين يفسر القدماء الضمير المستتر بأنه "**ما ليس له صورة في اللفظ بل ينوى كالضمير المقدر في (أقومُ)، و (قُمْ)، فيقدر في (أقومُ) (أنا)، وفي (قم) (أنتَ)، ولم تضع العرب لهما لفظًا يعبر به عنهما ولكن لضيق العبارة عبر عنهما بلفظ الضمير المنفصل تعليمًا للمبتدئين وليس هما إياهما على الحقيقة**" (خالد الأزهري، شرح التصريح على التوضيح، ج١، ص ٩٧)؛ وهذا المفهوم يقترب بشكل كبير جدًا مما اصطلح عليه عند اللسانيين المحدثين بـ (العنصر الفارغ empty element أو الضمير المفرغ empty pronoun) ويعرفه الفاسي الفهري بأنه "**الضمير الفارغ الذي ليس له محتوى صوتي**" (اللسانيات واللغة العربية، ج٢، ص ١١٠، حاشية (١)، وانظر ص ٢٥٧، وانظر مازن الوعر، نحو نظرية لسانية عربية، ص ٢٥٦)، وبالتالي فإن المعنى الذي قصد إليه القدماء عندما وضعوا هذا المفهوم هو أن الجملة قد فقدت أحد ركني الإسناد (المسند إليه) بشكل لا يقبل أن يؤول وبقيت الجملة معتمدة على ركن إسنادي واحد وبقي الركن الآخر فارغًا، وهو عينه ما ذهب إليه هؤلاء حين أبطلوا الضمير المستتر إذ دعوا إلى اعتباره مفهومًا من السياق (محمد عبد الله جبر، الضمائر في اللغة العربية، ص ٩٠) أو أن المسند إليه مدلول عليه بهذه اللواصق (السابق، ص ٢١٣)، يستثنى منهم فوزي الشايب إذ ذهب إلى اعتبار الفعل مسندا إلى اللاصقة الضميرية حتى مع وجود الاسم الظاهر (الماضي المجرد ومسألة البناء على الفتح، ص ١٢٥).

(٣) التبئير هو عملية صورية يتم بمقتضاها نقل مقولة كبرى (major category) كالمركبات الاسمية أو الحرفية أو الوصفية ... إلخ، من مكان داخلي (أي داخل الجملة) إلى مكان خارجي (أي خارج الجملة). انظر عبد القادر الفاسي الفهري، اللسانيات واللغة العربية، ج١، ص ١١٤ وما بعدها.

الرجالُ + جاءَ + و + ∅

محمدٌ + جاءَ + + ∅

أي

مسند إليه + [فعل + لاصقة ضميرية مطابقة + عنصر فارغ ∅]

(بؤرة) مسنـــد

ومما يدعم أن المسند إليه هنا هو في مكان خارج الجملة البسيطة، "**أن اختيار السمات الملصقة بالفعل للدلالة على الفاعل اعتباطي إلى حد، ويختلف من لغة إلى أخرى، إلا أن السمات التي يشملها إسقاط ضم [العنصر الفارغ أو الضمير المفرغ] أو الازدواج الضميري ليست اعتباطية في شيء فهي كل السمات الإحالية بما فيها الشخص والعدد على الخصوص حيث اللاصقة بدون وظيفة إحالية وتدخل في علاقة تطابق مع ضم (Pro)**"[1]، وهذا التحليل صالح أيضا في حالات إسناد الفعل المضارع.

هذا سلوك اللغة في الإسناد إلى الغائب، أما في حالة الإسناد إلى التكلم أو الخطاب فإن اللغة لم تستطع أن تتخطى حدود التطابق مع المسند إليه (العنصر الفارغ) في مثل:

- فعلْتُ ∅
- فعلْتُمْ ∅

فالأصل المفترض للجملتين السابقتين:

- فعلْتُ أنا
- فعلْتُمْ أنْتُمْ

غير أن اللغة أسقطت المسند إليه (الضمير المنفصل) مُحلّة محله العنصر الفارغ أو الضمير المستتر، تماما وفق ما حدث في بنية الجملة مع الغائب، وكان سبب إسقاط المسند إليه انعدام الاسم الظاهر في كل من التكلم والخطاب، فإن احتيج إلى المسند إليه للتوكيد أو العطف أبرز الضمير المستتر المنفصل في مكان المسند إليه كما في:

---

(١) السابق، ج٢، ص ١٠٨.

فعلْتُ أنا

فعل + لاصقة ضميرية مطابقة + فاعل

[مسند] + [رابط] + [مسند إليه]

فعلْ + تُ + أنا

أو : أنا فعلتُ

[فاعل		[	فعل + لاصقة ضميرية + فاعل	]
(بؤرة)	+		مسند+ رابط + مسند إليه ∅	
أنا]			فعلْ + تُ + ∅	]
مسند إليه			مســـــند	

غير أن اللغة لم تستطع تفريغ لاصقة الإفراد من محتواها الدلالي لتقوم بدور شكلي – نحوي فقط على مستوى التركيب الجملي كما حدث في الغائب، لذا فإن اللواصق الضميرية مع التكلم والخطاب مكتملة الإحالة، والمسند إليه عنصر فارغ، أما إذ ظهر المسند إليه (الضمير المنفصل) فإن ذلك جار على لغة أكلوني البراغيث في الغائب،وليس توكيدا للمستتر كما ذهب النحاة[1].

ومن الملاحظ أن الكنعانية حاولت أن تجري التجريد الذي حدث في إسناد الفعل للغائب على المتكلم أيضًا، فنجد في غير نقش كنعاني التركيب (فعل أنا) بدلا من (فعلتُ ∅)، ويمكن تعليل ذلك، بأن تفريغ اللاصقة الضميرية للمفرد الغائب من محتواها الدلالي واستعمالها أداة ربط تركيبية على المستوى النحوي –أدى إلى محاولة تعميم ذلك أيضًا على حالات الإسناد الفعلي كلها (التكلم والخطاب والغياب) وقد استمر هذا الاستعمال في الكنعانية زهاء الألف عام الأولى ق.م. إذ جاء في نقش (الملك كلمو)(حوالي القرن التاسع ق.م) في السطرين السابع والثامن: (وشكر أنخ)[2]، أي وشكرتُ، كما جاء في نقش (يحو ملك) (حوالي القرن

(١) حجة النحاة أن الضمير مستتر هنا وجوبًا لأنه لا يحل محله الظاهر (شرح ابن عقيل، ج١، ص ٩٦) والاسم الظاهر موضوع أصلا للغائب مطلقًا، فكيف يكون قياس التكلم والخطاب على ما ليس له.

(٢) ولفنسون، تاريخ اللغات السامية، ص ٦٣-٦٥.

الخامس ق.م) في السطر الثاني: (قرا أنخ)، أي ناديتُ، وفي السطر الثالث: (فعل أنخ)، أي فعلْتُ، وفي السطر السادس: (بعل أنخ)، أي فعلت أو أنشأتُ[1].

أما فعل الأمر فإن اللغة العربية والساميات عمومًا طبقت عليه ما يجري على الفعل المضارع الذي لا يختلف كثيرًا عن الفعل الماضي في هذا الجانب، إذ أسقطت سوابق المضارع اكتفاءً بخصوصية الأمر للمخاطب.

(١) السابق، ص ٦٥-٦٧.

الخـــاتـمـــة

تناولت هذه الدراسة فيما سبق جملة من القضايا التي تخص الضمائر في اللغة العربية، مبتدئة بالحديث عن تعريف الضمير من حيث إدراكه مفهومًا نحويا ومن حيث استخدامه مصطلحًا، وخرجت الدراسة بأن الاصطلاح الذي استخدمه سيبويه للضمير (علامة الإضمار) هو من حيث الدلالة على المفهوم أكثر دقة من الاصطلاح المستخدم في الدراسات النحوية (الضمير)، ومع ذلك فقد كتب للأخير الذيوع والانتشار حتى أهمل اصطلاح سيبويه رغم دقته وتقدمه. واستنادًا لما أسسه سيبويه من إدراك لهذا المفهوم فإن اسمية الضمير – التي كانت عند النحاة مسلمًا بها– أصبحت هنا مجالاً للبحث والدراسة، ولذلك فإن الصواب عدّ الضمائر علامات تحل محل الاسم الظاهر وتأخذ مكانه في الإسناد الجملي، فالضمير إذا ليس اسمًا وإن أعرب إعراب الاسم، وعده اسمًا هو من باب التجوز والتوسع.

كما ناقشت الدراسة في الباب الأول الضمائر العربية من حيث أصولها وتطورها، وخرجت من ذلك بأنها ليست نسيج وحدها بل هي تمت بعظيم العلاقات ووشائج القربىللضمائر في غيرها من اللغات السامية، فقد كشفت تلك المقارنات عن بعض جوانب الغموض التي أصابت مبحث الضمائر في الدراسات التقليدية، ومن أمثلة ذلك الحديث عن نون الوقاية، وألف ضمير المتكلم (أنا)، وغيرها من القضايا.

أما في الباب الثاني فقد خرجت الدراسة وفق المقارنات السامية إلى أن ما عرف في النحو العربي بضمائر الرفع المتصلة ما هي إلا أدوات ربط بين المسند والمسند إليه لتشكل بذلك ركنًا ثالثًا لركني الإسناد في الجملة الفعلية لا غنى للجملة عنه، يقوم بوظيفة نحوية شكلية شبيهة بوظيفة الضمير الرابط بين المبتدأ والخبر، وكذلك ذهبت الدراسة إلى أن ما عرف بالضمير المستتر ما هو إلا مفهوم متقدم في إدراك علاقات التركيب الجملي،وهو شبيه إلى حد كبير –إن لم يكن متطابقًا– بمفهوم العنصر الفارغ أو الضمير الفارغ في الدراسات الألسنية الحديثة، وأن القول بإسقاط هذا المفهوم يحتاج إلى الروية والأناة قبل الأخذ به.

وقد فرض الحديث عن مدى اسمية كل من الضمير واللاحقة الضميرية إعادة تحليل الجملة الفعلية العربية وفق نهج آخر جديد يلغي ما أسماه النحاة الاستتار الواجب في الفعل العربي إذ هو استتار جائز في جميع حالات الفعل، فإن ظهر الضمير المنفصل حلّ محل المسند إليه وأعرب إعرابه.

والله ولي التوفيق

قائمة المصادر والمراجع

المصادر والمراجع العربية:

-أحمد الحمو:

محاولة ألسنية في الإعلال.

مجلة عالم الفكر، الكويت، مجلد ٢٠، عدد ٣، ١٩٨٩.

-أحمد مختار عمر:

دراسة الصوت اللغوي.

عالم الكتب، القاهرة، ط٣، ١٩٨٥.

-الأستراباذي، رضي الدين محمد بن الحسن:

(١) شرح الشافية.

تحقيق محمد نور الحسن وزميليه، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، ١٩٨٢.

(٢) شرح الكافية.

دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، ١٩٨٥

-الأشموني:

منهج السالك إلى ألفية ابن مالك (شرح الأشموني).

عيسى البابي الحلبي، القاهرة، د. ط، د. ت.

- الأعلم الشنتمري:

تحصيل عين الذهب من معدن جوهر الأدب في علم مجازات العرب.

تحقيق زهير عبد المحسن سلطان، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط١، ١٩٩٢.

(وسبق نشره دون تحقيق على حاشية كتاب سيبويه طبعة بولاق)

-أنولتمان :

بقايا اللهجات العربية في الأدب العربي.

مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة، مجلد ١٠، ج١، عدد ١-٢، مايو ١٩٤٨.

- برجشتراسر :

التطور النحوي للغة العربية.

تحقيق رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، د. ط، ١٩٨٢.

- أبو البركات الأنباري:

الإنصاف في مسائل الخلاف.

تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد. المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، د. ط، د. ت.

-بروكلمان، كارل :

فقه اللغات السامية.

ترجمة رمضان عبد التواب، جامعة الرياض، د. ط، ١٩٧٧.

-البغدادي، عبد القادر بن عمر :

(١) خزانة الأدب، ولب لباب لسان العرب.

تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٢، ١٩٨٨.

(٢) شرح شواهد الشافية.

تحقيق محمد نور الحسن وزميليه (مطبوع بذيل شرح الشافية)، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، ١٩٨٢.

-أبو البقاء الكفوي، أيوب بن موسى:

الكليات.

تحقيق عدنان درويش وزميله، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٩٩٢.

-تمام حسان:

(١) اللغة العربية معناها ومبناها.

دار الثقافة، الدار البيضاء، د. ط، د.ت.

(٢) مناهج البحث في اللغة.

دار الثقافة، دار البيضاء، ط٣، ١٩٧٤.

-ثعلب أبو العباس: مجالس ثعلب

تحقيق عبد السلام هارون، دار المعارف، القاهرة، ط٢، ١٩٦٠م

-الجرجاني: عبد القاهر:

المقتصد في شرح الإيضاح،

تحقيق كاظم بحر المرجان. منشورات وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، ١٩٨٢.

-ابن جني، أبو الفتح عثمان:

(١) الخصائص.

تحقيق محمد علي النجار، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٩٠.

(٢) سر صناعة الإعراب،

تحقيق حسن هنداوي، دار القلم، دمشق،ط١، ١٩٨٥.

-جورجي زيدان:

الفلسفة اللغوية.

مراجعة مراد كامل، دار الهلال، د. ط، د.ت.

-ابن الحاجب، عثمان بن عمر:

الإيضاح في شرح المفصل،

تحقيق موسى بناي العليلي. مطبعة العاني، بغداد، د.ط، د.ت.

-ابن خالوية، الحسين بن أحمد:

إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم.

دار الهلال، بيروت، ١٩٨٥.

-خالد إسماعيل علي:

حول ضمير الغائب في الآرامية الشرقية.

مجلة المجمع العلمي العراقي، (عدد خاص بهيئة اللغة السريانية)، مجلد ٧، ١٩٨٣.

-خالد الأزهري:

شرح التصريح على التوضيح.

دار الفكر، بيروت، د.ط، د. ت.

-الخليل بن أحمد:

الجمل في النحو.

تحقيق فخر الدين قباوة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٩٨٥.

-خليل عمايرة:

(١) آراء في الضمير العائد ولغة أكلوني البراغيث.

دار البشير، عمان، ط١، ١٩٨٩.

(٢) فهارس لسان العرب.

مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٩٨٧.

-خليل يحيى نامي:

(١) دراسات في اللغة العربية.

دار المعارف بمصر، القاهرة، د.ط.، د.ت.

(٢) ضمير المتكلم المرفوع.

مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة، مجلد ١٩، جزء ١، مايو ١٩٥٧.

-ربحي كمال:

المعجم الحديث عبري: عربي.

دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٧٥.

-الرماني، علي بن عيسى:

الحدود.

تحقيق مصطفى جواد وزميله، منشور ضمن (رسائل في النحو واللغة)، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، ١٩٦٩.

-رمزي بعلبكي:

المقايسة في صيغ الضمائر العربية والسامية.

مجلة الأبحاث، الجامعة الأمريكية، بيروت، السنة ٢٨، ١٩٨٠.

-رمضان عبدُ التواب:

(١) بحوث ومقالات في اللغة.

مكتبة الخانجي - القاهرة، ط١، ١٩٨٢.

(٢) التطور اللغوي.

مكتبة الخانجي، القاهرة، د.ط، ١٩٨١.

(٣) فصول في فقه العربية.

مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣، ١٩٨٧.

(٤) في قواعد الساميات.

مكتبة الخانجي، القاهرة، د.ط، ١٩٨١

-السهيلي، عبد الرحمن بن عبد الله:

نتائج الفكر في النحو،

تحقيق محمد إبراهيم البنا، جامعة قاريونس، بنغازي، د. ط، ١٩٧٨.

-سيبويه:

الكتاب.

تحقيق عبد السلام هارون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٣، ١٩٨٨.

-السيد يعقوب بكر:

دراسات في فقه اللغة العربية.

مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٦٩.

-صالح الكشو:

مدخل في اللسانيات.

دار العربية للكتاب، تونس، د.ط، ١٩٨٥.

-الصبان:

حاشية الصبان على شرح الأشموني.

عيسى البابي الحلبي، د.ط، د.ت.

-عبد الحق فاضل:

أسرار الضمائر.

مجلة اللسان العربي، العدد ٥، ١٩٦٧.

-عبد الصبور شاهين:

المنهج الصوتي للبنية العربية.

مؤسسة الرسالة، بيروت، د.ط، ١٩٨٠.

-ابن عصفور:

المقرّب.

تحقيق أحمد عبد الستار الجواري، مطبعة العاني، بغداد، ط١، ١٩٧٢.

-عبد القادر الفاسي الفهري:

اللسانيات واللغة العربية.

دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، د.ط، د.ت.

-ابن عقيل، عبد الله:

شرح ابن عقيل.

تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار اللغات د.ط، د.ت.

-أبو علي الفارسي:

المسائل العسكريات.

تحقيق إسماعيل أحمد عمايرة، منشورات الجامعة الأردنية، ١٩٨١.

-الفراء:

معاني القرآن.

تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، عالم الكتب، د. ط، د. ت.

فرنرديم:

حول اللغة العربية الفصحى واللهجات العربية واللغة العربية الأم.

مجلة الأبحاث، الجامعة الأميركية، بيروت، السنة ٣١، ١٩٨٣

فندريس:

اللغة.

ترجمة عبد الحميد الدواخلي، وزميله، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٥٠.

-فوزي الشايب:

(١) ضمائر الغيبة أصولها وتطورها.

حوليات كلية الآداب، جامعة الكويت، الحولية ٨، ١٩٨٧.

(٢) الماضي المجرد ومسألة البناء على الفتح.

مجلة جامعة الملك سعود، مجلد ٣ (الآداب)، ١٩٩١.

-قوجمان: يحزقيل:

قاموس قوجمان عبري - عربي.

دار الجليل، بيروت، د. ط، د.ت.

-مازن الوعر:

نحو نظرية لسانية عربية حديثة.

طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، ط١، ١٩٨٧.

-ابن مالك، محمد:

تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد.

تحقيق محمد كامل بركات، دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٦٧.

-المبرد، أبو العباس:

المقتضب.

تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة، القاهرة، ١٩٦٨. د.ط.

-محمد أحمد الدالي:

لغة أكلوني البراغيث.

مجلة مجمع اللغة العربية، دمشق، مجلد ٦٨، جزء ٣، ١٩٩٣.

-محمد سالم الجرح:

نظرة تحليلية مقارنة على الضمائر العربية.

مجلة مجمع اللغة العربية -القاهرة، ج٢٢، ١٩٦٧.

-محمد عبد الله جبر:

الضمائر في اللغة العربية.

دار المعارف، القاهرة، د.ط. ١٩٨٠.

-محمد مصطفى:

لغة النقوش الفينيقية.

رسالة ماجستير، جامعة حلب، ١٩٨٨.

-م.سل:

القواعد العبرية مع مراعات لغة التوارة.

جمعية تكنولوجيا التعليم للشرق الأوسط، د.ط، د.ت.

-مسلم بن الحجاج:

صحيح مسلم بشرح الإمام النووي.

بيروت، د.ط، د.ت.

-مشيخة الأزهر:

حاشية مشيخة الأزهر على شرح المفصل لابن يعيش.

(مطبوع بحاشيته) دار الكتب، بيروت، د.ط، د. ت.

-ابن مضاء القرطبي:

الرد على النحاة.

تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، د.ط. ١٩٨٢.

-ابن منظور :

لسان العرب.

دار الفكر، بيروت، ط١، ١٩٩٠.

مهدي، المخزومي:

في النحو العربي قواعد وتطبيق على المنهج العلمي الحديث.

مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ط١، ١٩٦٦.

-الموصلي، عبد العزيز بن جمعة:

شرح ألفية ابن معطي.

تحقيق علي موسى الشوملي، مكتبة الخريجي، الرياض، ط١، ١٩٨٥.

-الميداني:

مجمع الأمثال.

تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة ط٢، ١٩٥٩.

-ابن هشام الأنصاري:

(١) شرح شذور الذهب.

تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، د.ط، د.ت.

(٢) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب.

تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الباز، د.ط، د.ت.

تحقيق مازن المبارك وزميله، دار الفكر، بيروت، ط٦، ١٩٨٥.

-هنري فليش:

العربية الفصحى.

تعريب عبد الصبور شاهين، دار المشرق، بيروت، ط٢، ١٩٨٣.

-الهمداني:

الإكليل، ج٨.

تحقيق محمد علي الأكوع. د.ط، د.ت.

-ولفنسون، إسرائيل:

تاريخ اللغات السامية.

دار القلم، بيروت، ط١، ١٩٨٢.

-يس الحمصي:

حاشيته على التصريح على التوضيح.

دار الفكر، بيروت، د.ط، د. ت.

-ابن يعيش، موفق الدين:

شرح المفصل.

دار الكتب، بيروت، د.ط، د.ت.

المصادر الأجنبية:

- M.M. Bravmann:
Studies in Semitic Philology.
Leiden E.J. Brill, 1977.

- Moscati and others:
An Introduction to the Comparative Grammar of the Semitic Languages.
Second Printings, Wiesbaden, Otto Harrassowitz, 1969.

- O'leary:
Comparative Grammar of the Semitic Languages.
Amsterdam, Philo Press, 1969.

- Wright, W.:
Lectures on the Comparative Grammar of the Semitic Languages.
Amsterdam, Philo Press, 1966.

ABSTRACT

The Pronoun And Its Effect On The Construction of The Arabic Sentence

Prepared By
Mahmud Hammad Mahmud Abu-Mousa
Supervised by: Prof. Sameer Staitieh

This dissertation explores systematically Arabic pronouns compared with some Semitic languages such as Hebrew, Syriac, and Ga'zi. This comparative approach has concentrated on the following aspects:

1- Arabic pronouns from their original and developmental point of view. The interpretation of Arabic pronouns depends on the interpretation of the relationship between Arabic and other Semitic pronouns. Some archaic morphemes were taken as evidences for the development and the relationship between Arabic and Semitic pronouns. Moreover, the differences between some Arabic dialects have been considered as evidences for this development and that relationship.

2- The construction of Arabic verbs in the present and past tense refers to the process of connection between verbs and their actors. This process has created models of prefixes to be connected with verbs. These prefixes need to be interpreted with concentration and the relationship between Arabic and other Semitic prefixes.

The research also deals with the nominality of pronouns, prefixes, and suffixes. the researcher dealt with these pronouns and fixes as different aspects for the same phenomenon. This was the main difference between the research and the main idea about pronouns, prefixes, and suffixes in The traditional research in Arabic pronouns. The fixed nominals were divided according to their function in the Arabic sentence, i.e. the syntactic and semantic functions.